

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٢)	شعبان المعظم ١٤٣١ هـ
العدد الثامن	أغسطس ٢٠١٠ م

المشـرف العام — **عبـد اللّٰه سعـود بن عبـد الوحيد**

رئيس التحريـر — **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمــــة** بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ **الاشتراک باسم:**	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ **الاشتراک السنوي:**	في الهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

☆ **تليفون:** ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ **فاكس:** ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

نحو الإصلاح في قطاع التعليم

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

فتحت المؤسسات التعليمية في البلاد أبوابها في الشهر الماضي لعام دراسي جديد، وبعد اتخاذ إجراءات القبول والتسجيل بدأت الدراسة المنتظمة في الفصول والقاعات، ومع بداية العام الدراسي الجديد انطلقت الشعارات والنعرات لترغيب الناس صغارا وكبارا في التعليم وإقناعهم بأهميته وضرورته.

ورغم هذه النعرات والشعارات، ورغم الجهود المخلصة وغير المخلصة لنشر التعليم ورفع المستوى العلمي للسكان، ورغم الكلام الكثير حول العلم وأهميته وحول الجهل ومذمته لا نكاد نلمس تغيرا يذكر في أرض الواقع، في بلد يربو عدد سكانه على مليار نسمة، عدا بعض الأبناء السارة لتفوق بعض الدارسين في بعض الجهات أو لنجاحهم في الحصول على وظيفة مغرية في القطاع الحكومي أو الأهلي، فمثله كمثل صاعقة انطلقت وأضاءت ما حولها للحظة، ثم اختفت ليسود الظلام الكون من جديد.

إن الحكومة المركزية للبلاد وكذلك الحكومات الاقليمية للولايات تبذل جهودها لمحو الأمية ونشر التعليم وتخصص مبالغ لا بأس بها لو صرفت على وجهها لهذا الغرض، وتعقد اللجان المكونة من خبراء التعليم والتربية للنظر في شؤون التعليم والبحث عن الأسباب الكامنة وراء الركود التعليمي أو الانحطاط التعليمي، وتقديم التوصيات والاقتراحات لحل المشكلات وإزالة العقبات، ومع هذه وتلك تتراوح معدلات التعليم – مع فارق بسيط لا يكاد يذكر– حول النقطة التي كانت تتراوح حولها من سنوات، وإذا كان هناك ارتفاع يذكر في هذا المعدل فإن المجتمع لا يشاهد آثارا ونتائج إيجابية رغم ازدياد عدد المتعلمين وحاملي الشهادات فيه، ولذلك يضعهم في عداد الأميين، ويشمئز من تصرفاتهم وسلوكياتهم، وقد يصل به الأمر إلى أن ينزعج من هذا التعليم الذي هؤلاء نتاجه، وهذه تصرفاتهم.

والأسباب المؤدية إلى هذا الوضع المؤسف عديدة، من أهمها أن أيادي السلب والنهب امتدت إلى قطاع التعليم كامتدادها إلى القطاعات الأخرى، فترى أناسا نشطوا في مجال التعليم ينشئون الكليات والمدارس والروضات، ولا هم لهم إلا الكسب المادي، جل اهتمامهم الحصول على أكبر قدر ممكن من المبالغ من الدارسين وأولياء أمورهم، وللحصول على مآربهم هذه

يتخذون وسائل وحيلا شتى، ويخلقون الفرص والمناسبات التي تدر عليهم الأموال. كما ترى أناسا فرغوا أنفسهم لنهب أموال الحكومة التي تخصص للنهوض بالتعليم ورفع مستواه، لأن الحكومات تنفق مليارات الروبيات سنويا تحت أسماء وشعارات متعددة تخص التعليم، فأصحاب المطامع والأغراض المادية يكونون بالمرصاد لهذه الأموال الطائلة، ويتخذون شتى الحيل والأساليب للحصول على أكبر مبلغ ممكن منها، وبذلك يحرم الشعب من حقه في هذا المال، ويحرم ذوو الدخل المحدود الذين تقصد الحكومات إعانتهم بتخصيص الأموال من حقوقهم، وتذهب جهود الحكومات سدى، وتبقى أحلام النهضة التعليمية أحلاما لا تتحقق على أرض الواقع.

إن الحكومات تعين المدرسين، وتجري المكافآت المالية للطلبة، وتخصص مبالغ هائلة لتقديم وجبة الغداء لهم في المؤسسات التعليمية، وتهتم بتوفير وسائل التعليم المختلفة، وتوفير الكتب المدرسية، وتخصص جوائز نقدية وعينية للدارسين المتميزين من الجنسين، إلى غير ذلك من الطرق والأساليب التي تدعم بها الحكومات الدارسين والمعلمين والمؤسسات التعليمية، فيقوم أصحاب الأغراض والمطامع ويحصلون على شهادات الزور ليحصلوا بها على وظائف التدريس في مدارس الحكومة، وقد يضطرون إلى تقديم مبالغ كرشوة للحصول على هذه الوظائف، ويعدون الساعات والأيام وينتظرون نهاية الشهر ليقبضوا مرتبهم الشهري، وعند ما يقوم مفتش رسمي بجولة تفقدية للتأكد من قيام المدرسين بأعمالهم التي كلفوا بها في مجال التعليم والتربية، ويطلع على غشهم ومكرهم يقومون بالتفاهم معه بالاتفاق على مبالغ معينة يقدمونها إليه، للاستمرار في مكرهم وخبثهم، أما وسائل النهب والسلب للمخصصات المالية لوجبات غداء الدارسين، وللكتب المدرسية، وللوسائل التعليمية، وغيرها فهي متنوعة ينقضي منها عجب القراء، وبعضها معلومة لدى أكثر الناس، وكثير منها بعيدة عن مداركهم ومعلوماتهم.

وقد يخيل إلى أذهان البعض أن كل هذا الفساد سببه انعدام مراقبة كافية على هذه الأمور، وأنه بإيجاد مراقبة فعالة يمكن القضاء على هذا الفساد وإرجاع الأمور إلى نصابها، ولكننا نرى أن هذا الفساد قد سرى وانتشر في هذا القطاع كالقطاعات الأخرى كانتشار الشرايين في الجسد، فكل ما يمكن أن نتصوره من أساليب المكر والغش بالنسبة للمعلمين فلنتصوره بالنسبة للمراقبين، وبالنسبة للمخططين، وبالنسبة للمنفذين، وبالنسبة لكل من في هذا الطريق من أوله إلى آخره، إلا من عصمه الله، وقليل ما هم.

إن كل جهود الإصلاح والتغيير تذهب أدراج الرياح إذا لم تنطلق من هذا الإنسان، هذا الكائن الحي الذي هو المحور الرئيس، وبيده الأمور والتصرفات، وهو المباشر لكل هذه الأعمال، وإليه التخطيط والتنفيذ، والنصب والعزل، وسيادة الفوضى أم سيادة النظام، فإذا لم يكن هو على درجة المسؤولية، ولم يحمل قلبا سليما، ووازعا داخليا، فهو الذي سيقف حجر عثرة أمام كل جهد يرمي إلى الاصلاح، وهو الذي يقضي على كل خطوة تهدف إلى إعادة الأمور إلى نصابها، كما هو ملموس ومشاهد عبر الأيام والأزمان، فإلى متى نخدع أنفسنا؟ وإلى متى نكذب الوقائع والمحسوسات؟ وإلى متى نرخي العنان لأصحاب الأهواء والأغراض يلعبون بعقول الناس وبمستقبل العباد والبلاد؟

وهنا يتجه المتجهون إلى فرض القوانين وتشديد الرقابة لعلاج هذه الظاهرة، ولكن سرعان ما يبحث المفسدون عن المخارج وعن الطرق التي يتجاوزون بها هذه العقبات، وتبقى القوانين والإجراءات المعقدة لعبة في أيديهم، أما الشعب المسكين الذي لأجل مصلحته كان كل هذا التشديد والتعقيد فيكون هو الخاسر، وهو الذي يسدد فاتورة القوانين والإجراءات المتزايدة.

نعود فنكرر إنه رغم أهمية القوانين والأنظمة ورغم ضرورة تشديد الإجراءات تبقى أهمية بناء الإنسان الصالح وضرورة تربيته وإحياء شعور آدميته في داخله قائمة، ويبقى هذا البناء والإعداد مطلبا أساسيا له أوليته وأولويته، ويأتي دور القوانين والعقوبات في المرتبة الثانية، فيقدم الترغيب على الترهيب، والنافي على المثبت، والنصح على الزجر.

ونحن حملة الإسلام مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالقيام بدورنا تجاه الإنسانية التائهة، فتعاليم ديننا الحنيف هي الكفيلة ببناء الإنسان الصالح وإعداد الفرد الصالح الذي لا يسعه أبدا أن يرخي العنان لشهواته، أو أن يكون جائرا لا يتحرج في الخيانة، حتى في ظروف لا يخاف فيها لوم أحد، أو عقاب سلطة دنيوية. وقد يئست البشرية بعد تجربة كافة النظم والتشريعات الوضعية التي لم تزدها إلا ضلالا وتعاسة، وهي الآن في أمس الحاجة إلى الهدي الرباني والوحي الإلهي والتشريع السماوي، لكي تنعم بالطمانينة الحقيقية، وتتعامل أفرادها فيما بينهم على أساس الأخوة والثقة والمودة، ويعيشوا في مجتمع آمن بعيدين عن جميع المخاوف من بني جنسهم وجلدتهم.

* * *

الدعوة الإسلامية

تأصيل المنهج الدعوي
في ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح

معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله.

وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنها لساعة رجاء أن تتنزل علينا فيها الرحمات وأن تحفنا فيها الملائكة، وأن يذكرنا الله بها فيمن عنده، أن سعينا لسماع كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والتفقه فيهما، ومعرفة ما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان في زمن تلاطمت فيه الفتن، واختلط فيه الليل والنهار، واشتبه على كثير من الناس الطريق، وضل كثيرون عن السبيل، ولذلك كان من اللازم أن يكون هناك تتابع في التذكير بأمر الله — جل وعلا — وبمنهجه الذي جعله لرسوله صلى الله عليه وسلم ولصحابته ولمن سارعلى نهجهم.

الحياة طريق إلى الآخرة:

والحياة مهما طالت فإنها معبر لا غير، هي مَعْبَرٌ إلى الآخرة، والآخرة خير لمن اتقى، وهي طريق إلى الجنة أو إلى النار، وليس الشأن في العمل بكثرته وتعدده وإنما الشأن في صوابه (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) [1]، حسن العمل أن يكون خالصا صوابا، والصواب هو ما كان على السنة لا على ما أحدثته العقول من الأهواء والبدع والطرائق المختلفة، فمن التقرب إلى الله — جل وعلا —والرغب فيما عنده الحرص على مثل هذه المجالس العلمية الدعوية النافعة.

موضوعنا: (تأصيل المنهج الدعوي في ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح). وسبب اختيارهذا الموضوع ممن اختاروه، أن الدعوة لا شك هي سمة هذه الأمة وسمة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) [2]، (فلذلك فادع واستقم كما أمرت) [3]، فالدعوة هي السبيل، وهي الطريق الذي

---
[1] هود: 7 .
[2] يوسف: 108 .
[3] الشورى: 105 .

لابد لنا منه، وهي عبادة عظيمة من العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله – عز وجل –، عبادة متعدية النفع، نفعها لا يقتصر على صاحبها، بل يتعدى نفع صاحب الدعوة بالدعوة إلى الناس في بلده، أو في خارج بلده، أو ربما من تأثر به إلى قيام الساعة.

الدعاة صنفان:

ولذلك كان الدعاة على صنفين:

الصنف الأول: أن تكون الدعوة على وفق السنة، مع الأخذ بما جدّ في العصر من اجتهادات لا تخرج عن إطار التزام السنة والجماعة وطرائق السلف الصالح.

والصنف الثاني: أن تكون الدعوة على وفق الأهواء والاجتهادات دون رجوع من العلم إلى ركن وثيق. فتعددت الأهواء وتعددت المشارب فصارت الدعوة بدل أن تكون منهاجا واحدا صارت مناهج شتى، وطرائق مختلفة. وكل يدعي صوابه فيما يأتي وفيما يذر، ولا شك أن العناية بالتأصيل فيه عصمة للعقل والقلب من الوقوع في الغلط.

لذلك جاء هذا العنوان: (تأصيل المنهج الدعوي في ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح)، المنهج هو الطريق، ذكره الله – جل وعلا – في كتابه بقوله: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) [1].

المنهاج والمنهج هو الطريق الواضح الذي لا التباس فيه، يقال: سلك نهجا واضحا، يعني طريقا متأكدا منه واضحا لا التباس فيه.

والدعوة لا شك أنها أسلوب يحتاج إلى طريق، هذا مما جعل القرآن فيه آيات كثيرة تبين هذا المنهاج وهذا المنهج.

دين الأنبياء واحد، وشرائعهم مختلفة:

الشرائع مختلفة، والمناهج مختلفة، لكن عقائد الأنبياء واحدة. ثبت في الصحيح أنه – عليه الصلاة والسلام – قال: "الأنبياء إخوة من علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد" [2].

وهذا هو الذي يوصلنا إلى أن المناهج الدعوية قد لا تكون على وفق الكتاب والسنة والطريقة المأمونة مما أخذها أهل العلم عن السلف الصالح، بل يكون فيها ضرب من النظر في المصالح والمفاسد بحسب توهم أصحابها، النظر في أهداف خاصة إما أن تكون إقليمية أو حزبية أو سياسية أو فئوية أو جماعية .. إلى آخره.

---

[1] المائدة: 48 .

[2] أخرجه "مسلم" في "صحيحه" في (كتاب الفضائل – باب فضائل عيسى – عليه السلام) (2365) عن أبي هريرة – رضي الله عنه. و "أحمد" في "مسنده" (13 / 8248) (16 / 10258).
شبه ما هو المقصود من بعثة الأنبياء من أصول الدين من التوحيد وغيره بالأب، وشبه فروع الدين المختلفة بالأمهات.
قال البغوي: يقال لإخوة بني أب وأم: بنو الأعيان، فإن كانوا لأمهات فهم بنو العلات، فإن كانوا لآباء شتى فهم أخياف.
يريد أن أصل دين الأنبياء واحد، وإن كانت شرائعهم مختلفة، كما أن أولاد العلات أبوهم واحد، وإن كانت أمهاتهم شتى أهـ من حاشية المسند.

الإخلاص في الدعوة:

الدعوة لا تكون دعوة على منهاج صالح إلا إذا ارتفعت عن الأغراض الدنيوية وصارت لله – جل وعلا – لهذا كان الداعية لا يأخذ أجره من البشر، لكن يأخذ أجره من الله (قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين، إن هو إلا ذكر للعالمين، ولتعلمن نبأه بعد حين) [1].

فالداعية لا يأخذ على دعوته أجرا من الخلق، لماذا؟ لأنه إذا أخذ أجرا دنيويا من الخلق فإنه ربما سلك ما يريدونه أو يستحسنونه، أو تؤول إليه أهواؤهم دون نظر إلى أمر آخر، هذا واقع، فإن الإنسان إذا أخذ عوض دعوته فإنه ربما وقع في انحراف من جهة أن يقول على وفق ما أراد من يعطيهم أجرا في ذلك، لهذا كان أجر الداعية على الله – جل وعلا – (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين). [2]

وفي الآية الأخرى قال: (إن أجري إلا على الله) [3]، هذا حصر، وهذا يقتضي الإخلاص، فإنه كلما كان قلب الداعية معلقا بالله – جل وعلا – كان منهجه في دعوته مؤصلا على وفق طريقة نبينا محمد بن عبد الله – عليه الصلاة والسلام –، وهل أعظم من الأجر أن يقال لمحمد – عليه الصلاة والسلام –: (إن أردت ملكا ملّكناك، وإن أردت امرأة حسناء زوجناك؟).

فقال صلى الله عليه وسلم: (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته). [4]

لهذا كان من المهمات أن يكون الاقتداء بالدعوة قبل معرفة الطريق، وأن يكون الداعية متخلصا من طلب الدنيا، وكلما كان أقرب إلى الدنيا فاته من الصواب في دعوته بقدر قربه منها، وإذا كان مراده بالدعوة الإسلامية والدعوة إلى الله الدنيا أو الجاه، أو المنصب، أو المال، أو انتصار حزبه، أو انتصار فئة على فئة، أو تمكن رجل سياسي أو نحو ذلك، فإنه يقع في هذه الدعوة الانحراف، ولا يصل الحق إلى الناس.

الدعوة إلى الله – جل وعلا – ليست عملا عاديا، لأنها من أفضل العبادات، بل عدها جمع من أهل العلم أنها أفضل العبادات، لأنها مشتملة على أنواع من الفضل، لأنها نوع من الجهاد في سبيل الله، لقوله تعالى: (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا). [5]

---

[1] ص 86 – 88 .
[2] (ص: 86)
[3] (يونس: 72).
[4] "السيرة النبوية" لابن هشام (1 / 284) وتمام القصة فيها: "ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي. فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا".
[5] الفرقان: 52.

أي: جاهدهم بالقرآن، والمجاهدة بالقرآن تعني الدعوة إلى الله بالقرآن والسنة التي هـي بيان للقرآن.

ومن أوجه التفضيل أن الدعوة إلى الله صارت من أفضل العبادات لأنها متعدية النفع، أما العبادات فالمقصود بها العبادات التطوعية، أما غيرها فيكون قاصر النفع، فإذا كان مـثلا يقـوم يصلي في ليله، أو يكثر التلاوة للقرآن فهـذه عبـادة ولكـن نفعهـا لنفـسه، لكـن إذا كـان يعلـم الآخرين القـرآن والـسنة ويـدعوهم ويحبـب الله إلـيهم ويقـربهم إلى الله فـإن هـذا النفـع يكـون متعـديا، ولهـذا قـال ابـن الجـوزي [1] - رحمـه الله – في صيد الخـاطر: (وجـدت أن التـأليف والتصنيف أنفع من التدريس). [2]

وذلك أن المعلم يحضر له عدد من الناس، ومن الطلاب، أربعين أو خمسين أو مئة مثلا، ثم إذا مات انتهى هذا العدد بقدر مَن علّم، ثم هم يعلمـون وهكـذا، ولكـن المؤلـف والمـصنف في التصانيف النافعة التي تفيد الأمة فإنه لا ينفك جيل من الناس من أن ينتفع منها، فقد ينتفـع منها عدد كبير، فصار من جهة تعدي النفع أفضل كما ذكره – رحمه الله – ، لهـذا نقـول: إن الدعوة مأمور بها، قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجـادلهم بـالتي هي أحسن) [3] ، وقال – جل وعلا –: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله) [4] ، وقـال أيـضا: (ولـتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [5]، وقال كذلك – جل جلالـه –: (فلذلك فادع استقم كما أمرت) [6] ، والآيات في ذلك كثيرة.

مضاعفة الأجر للداعية:

الداعية إلى الله – جل وعلا – يـضاعف أجـره، مـن حيـث إن كـل متـأثر بهـذه الـدعوة الصحيحة التي دعا إليها الداعي، فـسمع مقالـة الـنبي صـلى الله عليـه وسـلم، ووعاهـا وأداهـا وبلغها، فإن له من الأجر مثل أجور من اتبعه، ولهذا قال – عليه الـصلاة والـسلام – لعلـي- رضي الله عنه –: "انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهـم إلى الإسـلام، وأخـبرهم

[1] هو "أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي" المتوفى سنة 597 هـ، في بغداد.
قال "ابن تيمية" – رحمه الله -: عددت له أكثر من ألف مصنف.

[2] قال في "صيد الخاطر" (207): "رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة، لأني أشافه في عمري عددا من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقا لا يحصون ما خلقوا بعد وينبغي على العالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد، فإنه ليس كل من صنف صنف، وليس المقصود جمع شيءكيف كان، وإنما هي أسرار يطلع الله – عز وجل- عليها من شاء من عباده، ويوفقه لكشفها، فيجمع ما فرق،أو يرتب ما شتت، أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد.."

[3] النحل: 125 .

[4] يوسف: 108 .

[5] آل عمران: 104 .

[6] الشورى: 15 .

بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خيرلك من أن يكون لك حمر النعم" [1] يعني الإبل الحمراء الغالية الثمن، وهذا كله فضل عظيم، وأجر كبير.

وفي الصحيح أيضا قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا). [2]

وسائل الدعوة إلى الله:

والعلماء تتابعوا على ذكر فضيلة الدعوة، والدعوة إلى الله اسم عام يشمل كل وسيلة من وسائل إبلاغ الدين الحق إلى الناس سواء كان ذلك بالتعليم، أو كان بالتأليف، أو كان بالتدريس، أو كان بالذهاب إلى القرى والبوادي، أو بإلقاء المحاضرات، أو بالمشاركة في وسائل الإعلام، أو أي نوع من ذلك.

فكل وسيلة فيها إبلاغ الدين الحق للناس فهي دعوة إلى الله — تعالى — والدعوة إلى الله كل يدعيها، مناهجها شتى، والمنتسبون إلى الدعوة طرائقهم شتى، لكن هذه الطريقة، وهذه المناهج قد تكون بعيدة تماما عن الكتاب والسنة، وطرق سلف الأمة كوسائل دعوة غلاة الصوفية، والمريبين، والأحزاب السياسية البحتة التي استخدمت الدين وسيلة لدعوة الناس إلى مفاهيم سياسية ليس فيها تعبد لله وليس فيها إيضاح للدين الحق لله وأشباه ذلك، فإن هذا متعدد، فيبعد أصحاب الدعوة ويقربون.

(يتبع)

* * *

[1] أخرجه "البخاري" في "صحيحه" في (كتاب الجهاد والسير – باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة) (2942، 3009)، و(كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن، رضي الله عنه) (3701). عن "سهل بن سعد" رضي الله عنه.
و "مسلم" في "صحيحه" في (كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه) (2406) عن "سهل بن سعد" رضي الله عنه. (حمر النعم)ساكن الميم: كرائمها، وهو مثل في كل نفيس، ويقال: إنه جمع أحمر، وإن أحمر من أسماء الحسن .. أما (حمر) بضمتين فهو جمع (حمار). "المصباح المنير" (حمر 151) دار المعارف.

[2] أخرجه "مسلم" في "صحيحه" في آخر (كتاب العلم) (3674) من حديث "أبي هريرة" رضي الله عنه.

تفنيد المزاعم:

سَقَطَاتُ هَشِيمِ الـمُحتَظَر

كتاب الشيخ عداب الحمش في المهدي المنتظر

(12) بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

13 – قال الشيخ في الصفحة (**310**) نفسها: وقد وجهت إليهما عامة وإلى حديثهما هذا خاصة سهام عدد من النقاد. فالاحتجاج بقول الحافظ "صدوق في مقابلة أولئك الحفاظ غاية ما يتصور الجهل به".

قلت: لقد سبق أن الشيخ صرح مرات وكرات أنهما ليسالهما سوى هذا الحديث الواحد ويأتي هنا ليفيد أن لهما أحاديث عديدة وجهت إليها سهام النقد. فإن كان الرجلان ليس لهما إلا هذا الحديث الواحد فكيف وجهت إلى أحاديثهما عامة سهام النقد، أما إن كان الشيخ يقصد من قوله "وجهت إليهما" ذواتهما فهذا كلام باطل تماما فلم يذكر لنا الشيخ أحدا تكلم في عدالة أي منهما. وفيما يتعلق بإبراهيم بن محمد ابن الحنفية فقد ذكر الشيخ نفسه في الصفحة نفسها (ص **310** س **4**) "أن الرجل لم يجرح" ألا يشعر الشيخ بأي حرج في تصريحاته المتناقضة.

أما قول الشيخ "إن الاحتجاج بقول الحافظ في مقابلة أولئك الحفاظ غاية ما يتصور الجهل به" ولم يذكر لنا الشيخ من هم أولئك الحفاظ سوى قول البخاري في إسناده نظر – وهو ليس ضعيفا للراوي ولا للرواية – أما كلام ابن حبان في ياسين العجلي فلم يقبله الشيخ نفسه بكامله كما سبق. وفي مقابل ذلك وثقه خمسة من الأئمة. وأما إبراهيم فقد وثقه إمامان اعترف الشيخ نفسه "أن الرجل لم يجرح" فهل كل هذا هو "قول الحافظ: "صدوق" وليسامحني الشيخ إن قلت: ان صنيعه هذا هو غاية ما يتصور الجهل به.

14 – نأتي الآن إلى قول البخاري في هذا الحديث: وقد روى قول البخاري على عدة أوجه.

1 – روى ابن عدي عن ابن حماد – وهو الدولابي – قال: قال البخاري ياسين العجلي عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية: فيه نظر. (الكامل **7** / **2643**)

2 – قال العقيلي: حدثني آدم بن موسى قال: سمعت البخاري قال: ياسين بن سيار العجلي، كوفي في حديثه نظر. (الضعفاء للعقيلي 4 / 465)

3 – ترجم البخاري لياسين العجلي هذا في تاريخه الكبير فلم يذكر فيه جرحا (8 / 429).

4 – ترجم البخاري لإبراهيم بن محمد ابن الحنفية،وقال في ترجمته: قال لي أبو نعيم، قال: حدثنا ياسين العجلي عن إبراهيم بن محمد بن علي ابن الحنفية عن أبيه عن علي وفيه قال: المهدي منا أهل البيت، وفي إسناده نظر. (التاريخ الكبير 1 / 317)

فإذا اختلفت الروايات عن البخاري فلا شك أن ما في كتابه هو الراجح، فماذا يعني البخاري من قوله: في إسناده نظر؟ هذا الاختلاف في النقل عن البخاري يبين بوضوح أن البخاري يشير إلى ملاحظة بدت له في إسناد هذا الحديث "أنه لا يعني تضعيف أحد منهما".

لقد استنكر الشيخ عداب على أني قلت إن البخاري لا يعني من قوله "في إسناده نظر" تضعيف الراوي (ص 311).

ولكن هذا ليس مجرد اجتهاد مني بل نص عليه ابن عدي نفسه ويدل عليه صنيع الأئمة الآخرين، وإليك بعض الأمثلة:

1 – أوس بن عبد الله الربعي، أبو الجوزاء البصري، تابعي، نص البخاري أنه "سمع عبد الله بن عمرو" وأخرج في ترجمته عن طريق عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء قال: أقمت مع ابن عباس وعائشة اثنتي عشرة سنة ليس من القرآن آية إلا سألتهم عنها، قال محمد: في إسناده نظر. (التاريخ الكبير 2/ 16 – 17)

وهذا دليل واضح أن البخاري عندما قال: في إسناده نظر، فإنه يقصد هذه الرواية بالذات، ولكن الدولابي اختصر الرواية، فقد روى عنه ابن عدي قال: سمعت محمد بن أحمد بن حماد يقول: قال البخاري: أوس بن عبد الله الربعي، أبو الجوزاء البصري: في إسناده نظر. (الكامل 1 / 407) فقد حذف الدولابي الحديث الذي ذكره البخاري، فاختلف المعنى.

ولذلك قال ابن عدي نفسه: "وأبو الجوزاء روى عن الصحابة ابن عباس وعائشة وابن مسعود وغيرهم، وأرجو أنه لا بأس به" إلى أن قال: ويقول البخاري في إسناده نظر، أنه لم يسمع من مثل ابن مسعود وعائشة وغيرهما، لا لأنه ضعيف عنده، وأحاديثه مستقيمة مستغنية عن أن أذكر منها شيئا في هذا الموضع. (الكامل 1 / 402)

وقال ابن حجر: وقول البخاري: في إسناده نظر ويختلفون فيه إنما قاله عقب حديث رواه له في التاريخ من رواية عمرو بن مالك النكرى والنكري ضعيف عنده. (التهذيب 1 / 384)

وذكره ابن حجر في مقدمة فتح الباري وحكى فيه قول ابن عدي وأقره ثم قال: أخرج له البخاري حديثا واحدا الخ (هدي الساري 392)

فهذه تصريحات واضحة من الأئمة أن البخاري لم يقصد بقوله "في إسناده نظر" تضعيف أوس بن عبد الله الربعي التابعي، انما قصد تضعيف تلك الرواية الواردة بشأنه أنه أقام مع ابن عباس وعائشة اثنتي عشرة سنة، وقد تبين أن الذي رواها عنه ضعيف.

والغريب أن الشيخ عداب نقل بعض كلام ابن عدي الذي ذكره ابن حجر في التهذيب، فحذف منه كل هذه التصريحات لأنها تخالف ما يريد إثباته، ونسب بعض كلام ابن عدي – الذي نقله مبتورا – إلى ابن حجر نفسه.

وهذا مستوى الدقة والأمانة عند الشيخ، سامحه الله.

2 – قال البخاري نفسه في الجامع الصحيح في باب وجوب الصلاة في الثياب "ويذكر عن سلمة بن الأكوع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يزره ولو بشوكة، في إسناده نظر". (فتح الباري 1/ 465)

وفصل ابن حجر أن الحديث روي على ثلاثة أوجه.

1 – الدراوردي عن موسى بن إبراهيم عن سلمة بن الأكوع مرفوعا.

2 – إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه عن موسى بن إبراهيم عن أبيه عن سلمة. (زاد في الإسناد "عن أبيه")

3 – عطاف بن خالد حدثنا موسى بن إبراهيم قال: حدثنا سلمة، فصرح بالتحديث بين موسى وسلمة.

قال ابن حجر: فاحتمل أن يكون رواية أبي أويس من المزيد في متصل الأسانيد، أو يكون التصريح في رواية عطاف وهما. فهذا وجه النظر في إسناده. (فتح الباري 1 / 465 – 466)

فإننا نشاهد أن البخاري أشار بقوله: "في إسناده نظر" إلى الاختلات في إسناده، ومع قول البخاري في إسناده نظر، صححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم ووافقه الذهبي. وقال النووي: إسناده حسن (المجموع 3 / 174) وقال الألباني: إسناده حسن. (صحيح سنن أبي

داود 3 / 196) فهذا بيان من هؤلاء الأئمة أن قول البخاري "في إسناده نظر" لا يستلزم تضعيف الحديث ولا تضعيف رواته.

3 – وروى ابن عدي بإسناده عن البخاري أنه قال: بكير بن مسمار أخو مهاجر بن مسمار، روى عنه أبو بكر الحنفي، في حديثه بعض النظر. (الكامل 2 / 474)

قال ابن عدي: وبكيربن مسمار لم أخرج له شيئا ههنا لأني لم أجد في رواياته حديثا منكرا، وأرجو أنه لا بأس به. قال الشيخ (وهو ابن عدي نفسه) والذي قاله البخاري كما قال، روى عنه أبو بكر الحنفي أحاديث، لا أعرف فيها شيئا منكرا، وعندي أنه مستقيم الحديث، فاستغنىعن أذكر له حديثا لاستقامة حديثه، لأن من روى عنه صدوق. (الكامل 2 / 474)

وبكير بن مسمار هذا روى له مسلم والترمذي والنسائي، وقال العجلي ثقة وقال النسائي: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ليس هذا بكير بن مسمار الذي يروى عن الزهري ذاك ضعيف، وقال في الضعفاء في ترجمة الذي يروى عن الزهري وقد قيل أنه بكير الدامغاني. وقال: وليس هذا أخا مهاجر، ذاك ثقة، قال ابن حجر: قلت: وأما البخاري فجمع بينهما في التاريخ لكنه ما قال فيه نظر إلا عند ما ذكر روايته عن الزهري ورواية أبي بكر الحنفي عنه. (التهذيب 1/ 495)

4 – وقال البخاري: ديلم الحميري، ويقال: هو فيروز الديلمي ثم ذكر في ترجمته حديثا ثم قال: في إسناده نظر. (التاريخ الكبير 3 / 248)

وقال ابن حجر: ديلم الحميري الجيشاني كان أول وافد على النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن، أرسله معاذ، ثم شهد فتح مصر ونزلها. (تقريب التهذيب ص 311)

5 – وقال البخاري: أويس القرني، أصله من اليمن، في إسناده نظر (المرادمي) . وقال فيه ابن حجر: سيد التابعين، روى له مسلم من كلامه. مخضرم قتل بصفين. (ينظر: التاريخ الكبير 2 / 55، والتقريب ص 156) وذكر الذهبي قول البخاري ثم قال: يريد أن الحديث الذي روى عن أويس في الإسناد إلى أويس نظر، ولولا ان البخاري ذكر أويسا في الضعفاء لما ذكرته أصلا فإنه من أولياء الله الصادقين، وما روى الرجل شيئا فيضعف أو يوثن من أجله. (الميزان 1 / 278)

وهذا موضوع طويل يحتاج إلى كتاب مستقل، ولكن هذه الأمثلة تفيد أن قول البخاري "في إسناده نظر" لا يعني تضعيف الراوي ولا تضعيف الحديث وإلا لاستلزم ذلك تضعيف بعض الصحابة وكبار التابعين، من أمثال أويس القرني، والذي يظهر لي أن البخاري ليس له

اصطلاح معين في قوله "في إسناده نظر" وإنما هو يشير إلى علة ظهرت له في بعض الروايات من الاختلاف في الوصل والإرسال، أو الرفع والوقف، أو السماع والعنعنة، ونحو ذلك. ومن مهمة الباحث أن يبحث في تلك الأمور ويرجح الراجح فليس كل علة قادحة كما هو معلوم. والله أعلم.

ومما يجدر بالذكر هنا أنني قارنت في بعض التراجم بين نص البخاري في تاريخه الكبير وما ورد عن البخاري في الكامل لابن عدي عن شيخه الدولابي، فلا حظت أن البخاري يذكر حديثا أو خبرا في الترجمة ثم يقول: "في إسناده نظر". ولكن الترجمة تذكر باختصار في الكامل فيحذف منها الحديث أو الأثر فيذكر اسم الراوي وأن البخاري قال: في إسناده نظر. وهذا اختصار مخل يؤدي إلى تغير المفهوم من قول البخاري، والدولابي كان له كتاب في الضعفاء، فالظاهر أنه ذكر فيه هذه التراجم باختصار وروى عنه ابن عدي في الكامل، ثم ينقل عنه المزي وعن المزي ينقله الذهبي وابن حجر وغيرهما ولكن ابن حجر يستدرك عليه في بعض الأحيان.

وقد سبق أن ابن حجر نفسه أشار إلى نحو هذا كما مر قبل قليل نقلا عن التهذيب (1 / 384).

وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة موسعة ولكن ليس هذا مجالها والله أعلم.

15 – قال الشيخ عداب "الجهة الثالثة: قال الشيخ البستوي: قول البخاري في إسناده نظر، لا يعني تضعيف الراوي، وقد ذكره البخاري في ترجمة إبراهيم لا في ترجمة ياسين. ومع ذلك فهو جرح غير مفسر ولم أجد من فسر وجهة نظره. فلا يمكن تضعيف الحديث من أجله.

أقول (الشيخ عداب): هذاكلام عجيب غريب .. إذا كان قول البخاري: في إسناده نظر لا يعني تضعيف الراوي. وهذا الحديث لا يعرف إلا بهذا الإسناد، وهذا الراوي ليس له سوى هذا الحديث. فماذا يعني قول البخاري إذن (ص 311) ثم أطال الشيخ في الكلام في معنى قول البخاري في إسناده نظر. ولكن كل هذا الكلام من عقديات الشيخ عداب وكأنه هو المتحدث الرسمي باسم الإمام البخاري.

قلت (البستوي): أما قولي إن قول البخاري "في إسناده نظر" لا يعني تضعيف الراوي قد أثبته قبل قليل بنص كلام الإمام ابن عدي. وبالمقارنة بين كلام البخاري وكلام الأئمة الآخرين، وتعامل الأئمة الآخرين من أمثال ابن حبان وابن خزيمة والنووي وابن حجر وغيرهم أن قول البخاري "في إسناده نظر" لا يعني تضعيف أحد من الرواة فإن أسباب النظر في الحديث كثيرة غير ضعف الراوي، فقد يكون الحديث فيه نظر ولو كان جميع رواته ثقات. وهذا شيء معروف لدى أهل العلم.

أما قول الشيخ عداب: "إن هذا الراوي ليس له سوى هذا الحديث" فهو كلام باطل يكرره الشيخ بعد كل بضعة أسطر، وقد سبق بيان بطلانه قبل قليل.

واستغرب الشيخ من قولي: "فهو جرح غير مفسر ولم أجد من فسر وجهة نظره، ثم ذكر عدة أمثلة من قول البخاري وغيره وما ذكر من بعض الأئمة في علل تلك الأسانيد زعم أنه تفسير لقول البخاري ثم قال: "فهل تتبع الزميل البستوي حقا فلم يجد من فسر قول البخاري في إسناده نظر". (ص 312)

وهذا من أمثلة تسرع الشيخ في النقد دون استيعاب ما يقرأه فإنما أعني وجهة نظره في هذا الحديث وليس في كل ما قال فيه البخاري: في إسناده نظر. وقد ذكر الشيخ نفسه أربعة أمثلة من قول البخاري هذا ثم فسره في كل مثال بتفسير مختلف عن الأمثلة الأخرى. وهذا خير دليل على أن البخاري ليس له اصطلاح معين في مفهوم هذه الكلمة بل يفسر كلامه حسب ما يقتضي المقام بعد دراسته. وإني لم أجد من أحد من الأئمة المتقدمين كلاما في سبب نظر البخاري في هذا الحديث. ولذلك استظهرت أنا بعد دراسة هذا الحديث أن البخاري بقوله هذا يشير إلى وقف بعض الرواة هذا الحديث على علي رضي الله عنه وعدم رفعه. ولكن طالما أن الأكثر – وهم أئمة ثقات – رووه مرفوعا فهو الأرجح. ولو فرضنا أسوء الاحتمالين وهو أنه موقوف على علي رضي الله عنه بأن هذا من الأمور الغيبية التي لا مدخل فيها للاجتهاد ولا يعرف علي رضي الله عنه بالرواية عن أهل الكتاب فهو في حكم المرفوع، ولذلك رجح تصحيحه الحافظ ابن حجر والألباني وأحمد شاكر، وحسنه السيوطي على الرغم من قول البخاري فيه.

وهذا المبدأ قد أقر به الشيخ عداب نفسه في (ص 262) من كتابه هذا. فقد قال: "وفي هذا البحث خاصة فإني سوف أقبل قول الصحابي وأقوال أئمة أهل البيت [1] لسببين اثنين. الأول: أن قضية المهدي المنتظر من الغيب المستقبلي، والصحابي الذي لا يأخذ من أهل الكتاب يترجح سماعه ذلك الحديث المستقبلي من النبي صلى الله عليه وسلم أو من واحد من أصحابه الكرام. وعلى هذا الاحتمال قالوا: له حكم المرفوع."

فالخلاصة أن هذا الحديث إسناده لا ينزل عن درجة الحسن بل يمكن أن يقال فيه"صحيح" لأن ياسين العجلي وإبراهيم بن محمد بن الحنفية وثقهما عدد من الأئمة، ولذلك صححه أو حسنه عدد من الأئمة العلماء كما سبق ذكره، والله أعلم. (يتبع)

* * *

[1] أئمة أهل البيت بعد الحسين رضي الله عنه ليسوا صحابة وليس لقولهم حكم الرفع.

الداء والدواء

المخدرات ... داء خطير

بقلم: د. محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

خبر جاء في الجزيرة في 30 / شوال1419 هـ، ونشر في بعض الصحف، يهزّ المشاعر، ويدمي القلب، لبشاعته، عن ذلك الذي أسلم نفسه للمخدرات أسوأ أدواء العصور، والذي خسائره لا يصدق عقل بشري كم تبلغ، لأنها فوق التصور، سواء في النفوس أو في العقول، أو في الوفيات أو في الأموال، أو في الأضرار المختلفة الاجتماعية والبيئية.

إنه داء المخدرات فلقد نفّذ الحكم الشرعي في بريدة في مجرم تحكمت فيه المخدرات، فأقدم على قتل زوجته وابنته وابنه، ثم قطع يد ابنه الآخر، ومثّل بجثث هؤلاء الأبرياء، في أبشع جريمة نسمع بها،إنه المخدرات التي يطلق عليها السم القاتل، من أسوأ وسائل الغزو الذي يسلط على الشعوب، وهو بالنسبة للشعوب الإسلامية، وخاصة المحافظة منها أكثر تسليطا، لأن فيه مصالح للأعداء عديدة، فعلاوة على أنه يمتص ثروات الأمة، لأن من وقع في حبائله، يأسره أسرا، ويستولي على مشاعره، هذا الداء الذي لا فكاك منه.

فصاحبه لا يفكر في شيء غير الحصول على جرعة منه، يسرق أو يقتل، ويرتكب الجرائم كبيرها وصغيرها بدون مبالاة أو إحساس بوازع، ويرتكب المحرمات والفواحش ماظهر منها وما بطن، بل الأكثر ألما أن يتسبب متعاطي هذا السم،وأسير هذا الداء، في عقوق والديه، وارتكاب الفاحشة مع محارمه، نسأل الله السلامة والعافية، ولا غرابة فيما يحصل من مدمن المخدرات، لأنه يضيع بسببها دينه، ويتمرد من تعاليم الإسلام.

إن أعداء الله وأعداء دينه، يسلكون طرقا متعددة، ويمتهنون أعمالا متلونة المداخل، من أجل غزو شباب المسلمين بهذا الداء، حتى يقعوا في حبائلهم، ويفسدوا عقولهم بذلك، ليجعلوهم عبئا ثقيلا على أمتهم، وأعضاء فاسدين في مجتمعهم .. بل ومفسدين لغيرهم .. كجزء من غزو أمة الإسلام في أعز ما لديها، وهم الشباب الذين تناط بهم الآمال .. وإفساد الدين الذي به قوام الأمة وصلاحها.

إن مشكلة المخدرات، من أهم ما يحرص عليه أعداء الأمة، ممثلة في عصابات المافيا، في حربهم مع أمم الأرض، وفي المقدمة ديار الإسلام، حتى تدمر من داخلها، وتكبر مشاكلها التي تقض مضجع الساهرين على الأمن، فالمخدرات بأنواعها: المزروع والكيمائي، تسلط على

ديار الإسلام من أجل الاستيلاء على عقول شبابها والهيمنة على اقتصادها وقيمها ويجنّد لترويجها، ونشرها في المجتمع، أشخاص مهيئون لذلك: تدريبا، وتنظيما.

عُرفت هذه المخدرات في المجتمع الإسلامي في أواخر الدولة العباسية باسم الحشيشة، وذلك عند ما بدأ ثقل الدولة العباسية يضعف، وميزانها يميل إلى الانحطاط .. وقد عرفت ثورة – أو على الأصح عصابة نهب وقتل بلا سبب – في أيام الدولة العباسية في القرن الخامس أو السادس الهجري باسم: ثورة الحشاشين. وكان لها صدى في المجتمع ذلك الوقت، بما أحدثه هذه الثورة في الدولة العباسية من شر كبير، وحصلت من عملهم مآس كثيرة .. قتلا ونهبا، واغتصابا مع بث الفوضى في المجتمع ذلك الوقت. وهؤلاء الحشاشون كما يقال: ليسوا من أصول عربية، ويدّعون الإسلام، فكانوا جرثومة خبيثة غرست في جنب المجتمع الإسلامي، لأهداف تضر بالإسلام وأهله .. ولإبراز روح العداء الكامن في نفوس مدبري تلك الحركة، على العرب والمسلمين. وهذا شأن الأعداء يتلمسون المداخل، ويدعون الإسلام حتى يصيبوا من الأمة. إن كل مشكلة تسلط على المجتمع، لابد أن يراعي قادة تلك المعضلة، المبررات لتلقي قابلية في ذلك المجتمع الموجهة إليه، حتى تنطلي على ضعاف العقول، وقاصري الهمم، وراء ذلك غاية خطرة. والمخدرات عند ما أدخلت للمجتمع الإسلامي، جاءت باسم التنشيط، حيث يرغّب الشباب فيها أيام الامتحانات حتى تصفو أذهانهم وينشطوا، ويستطيعوا مغالبة النوم من أجل المذاكرة، وغير هذا من الشبهات التي تطرح ويغرر بالشباب حتى يقعوا فريسة لهذا الداء الدوي، الذي يسمونه أمام الشباب بغيراسمه للتمويه. وأصحاب الأعمال أو الأسفار، تروّج لهم بأن تعاطي القليل منها، يدفع الجسم للعمل، ويعطيه قوة في التحمل، ويشعر بالقدرة على المواصلة في المسافات البعيدة، بدون كلل أو ملل.

وللنساء شبهة حول الحمل والولادة، بتخفيف الآلام، والسيطرة على الأوجاع التي تصاحب العادة الشهرية وأيام اليأس، وآلام المخاض، والصداع الذي يلازم بعض النساء أويكثر مع بعضهن. وهكذا كل مشكلة تمر بالإنسان أيا كانت، يصور مروّجوا هذا السم أنه فيه قضاء على كل ما ينتاب الإنسان من مرض أو ضعف، ومن رغبة في النوم أو رغبة في السهر، وكان هذا الداء آية من آيات الله، ومعجزة يقضي بها على كل ما في الحياة من أدواء وآلام، وهواجس ووساوس، وضمك واكتئاب.

وهذا من ضعف الملتقى، وخبث الملقى، إذ كيف تجتمع الأضداد، وتكون هذه المعجزات في صنف واحد. حتى الحكم الشرعي في من يتعاطى المخدرات، يجد هؤلاء الخبثاء مبررا للاستهانة بالأوامر الشرعية، من أجل ترويج باطلهم، والتمويه على البسطاء، فيقول أعداء

الله في ترويج بضاعتهم: إن هذه المخدرات لم يأت لها ذكر صريح في القرآن الكريم، ولا في السنة المطهرة، كما هي الحال في الخمر التي حرمت بالنص، فالله أمر بالطيبات، لأنه طيب لا يقبل إلا ما كان طيبا، وحرم الخبائث ما ظهر منها وما بطن، ولو سئل أي إنسان سليم العقل: هل المخدرات من الأشياء الطيبة؟ أم من الخبائث؟ لكانت أبسط إجابة تتلقاه من أي إنسان: بأنها من الخبائث.

لأن الطيب ما كان فيه نفع بدون ضرر، وما كان وراءه مصلحة، ويتنافى مع المفسدة.. والطيب فيه فائدة صحية للجسم، وفائدة تعود بالنفع، والخبيث ما يضر بالجسم، ويجر وراءه خسارة مالية وصحية، ونفسية واجتماعية.

ومن هذه المقارنة يبرز خبث هذه المخدرات لأن الله سبحانه نهى عن قتل النفس أو الإضرار بها، حيث قال سبحانه: "ولا تقتلوا أنفسكم" والمتعاطي للمخدرات يقتل نفسه، ويقتل النفس البريئة بغير حق، ومآسيه كثيرة، فهو خبيث، ويدعو إلى الخبائث، والقرآن الكريم والسنة المطهرة، كلاهما صريح بنصوصهما في تحريم الخبيث الضار.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله واحد من كبار علماء المسلمين الذين سخروا جهودهم، وأفنوا أعمارهم من أجل التوعية والدعوة، وكشف الشرور، والرد على الشبهات، كما نرى في حديث هنا عن الحشيش، أو ما هو معروف اليوم باسم المخدرات، لأنها تخدر الأفراد والشعوب، وتقضي على معنوياتهم، وتميت الطموح من نفوسهم، فيتسلط العدو على عقولهم وأمنهم من هذا المدخل، وهي أسهل منفذ يدخل معه العدو على الأمة. ولعل أقدم زمن بدأت فيه هذه المخدرات تغزو ديار الإسلام، حيث لم تكن أشجارها معروفة في بلاد العرب، كان ذلك كما قلنا في العصر العباسي، عند ما ظهر من الإسماعيلية، وهم فرقة باطنية، فرقة عرفها الناس باسم الحشاشية، وقد أخذوا اسمهم من تعاطي شرب الحشيش، وهو شجر القنب، وقد بدأ ظهورهم في أول أمرهم عام **484** هـ على يد الحسن بن الصباح، وقد خرّبوا وأفسدوا في بلاد فارس، التي ظهرأمرهم فيها أولا، ثم امتد إلى بلاد الرافدين والشام.

وقد ذكرت عنهم كتب التاريخ الشيء الكثير من الفساد والإفساد، والحقد على الإسلام والمسلمين، وهذا النبات الخبيث، أول ما عرف في بلاد خراسان وفارس، ثم استقل في الحروب الصليبية، كجزء من الحرب لإماتة المعنويات، والقضاء على الإحساس عندهم، حتى يسخروا كيفما يريد موجههم.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معاصرا لتلك الحروب، ومعايشا لفتن الإسماعيلية في ديار الشام، كما كان رحمه الله مدركا أثر هذه الحشيشة في النفوس، ودورها في

إفساد المجتمعات، والشبهات التي يثيرها الأعداء، للتشكيك فيها، وبلبلة أذهان البسطاء، الذين يغرر بهم أعداء الله، وأعداء دينه، لترغيبهم في هذا السم القاتل، من أجل القضاء على القيم في المجتمع الإسلامي وإفساد رجاله. كما كانت الإجابات التي سنورد بعضها عنه، تدل على سعة أفقه، ومعرفته بخفايا هذا الداء القاتل من ناحية:

1- حب متعاطيه للاستزادة.

2- أثره الصحي والنفسي.

3- دوره في إفساد المجتمعات.

4- تحويله النفوس المستمرة على تعاطيه للجنون.

5- أضراره الكثيرة التي هي أكثر من ضرر الخمر التي جاء تحريمها بنص القرآن.

6- ثم حكمه بتحريمه ومعاقبة متعاطيه بجزاء أشد من الخمر، وكفر من يعتقد حله.

فكيف لو أنه رحمه الله، قد عاش في عصر يروجه أناس لا دين في قلوبهم ويسلبون أموال غيرهم بإعطائهم سموما لقتلهم، مع التغرير بالبسطاء حتى يوقعوهم في حبائلهم، أليس هذا من أكل أموال الناس بالباطل؟ وإفساد المجتمع وتضليل أبنائه، والتغرير بهم؟

ورحم الله مشايخنا عند ما أصدروا أحكاما قاسية على المروج للمخدرات والمهرب والبائع، لكي تكون وازعا يحد الله به من انتشار هذا الداء، الذي بليت به بلاد المسلمين، ويغزوها في مقر دارها، وكان الجزاء القتل واعتباره من الحرابة .. التي تقضى المجتمع، وتخلخل الأمن.

يقول رحمه الله في مجموع الفتاوى الجزء 34 / 138 وقد سئل عن الحشيشة؟

الأصل في ذلك أن كل ما أسكر فهو حرام، وكذلك الحشيشة المسكرة، يجب فيها الحد، وهي نجسة في أصح الوجوه، ومن ظن أن الحشيشة لا تسكر، وإنما تغيب العقل، بلا لذة، فلم يعرف حقيقة أمرها، فإنه لولا ما فيها من اللذة لم يتناولها إنسان، ولا أكلوها، بخلاف البنج ونحوه، مما لا لذة فيه، والشارع فرق بين المحرمات، بين ما تشتهيه النفوس، وما لا تشتهيه النفوس كالدم والميتة، اكتفى بالزاجر الشرعي فيه، فجعل العقوبة فيه التعزير، وأما ما تشتهيه النفوس، فجعل فيه مع الزاجر الشرعي، زاجرا طبيعيا، وهو الحد.

والحشيشة من هذا الباب، ثم زاد رحمه الله حكما فيما يتعلق بالحشيشة، فقال في ص 204 من مجموع فتاواه جمع الشيخ عبد الرحمن القاسم:

وأما الحشيشة الملعونة المسكرة، فهي بمنزلة غيرها من المسكرات، والمسكر منها حرام باتفاق العلماء، بل كل ما يزيل العقل فإنه يحرم أكله، ولو لم يكن مسكرا، كالبنج، فإن المسكر يجب فيه الحد، وغير المسكر يجب فيه التعزير.

وأما قليل الحشيشة المسكرة، فحرام عند جماهير العلماء، كسائر القليل من المسكرات، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مسكر حرام، وكل خمر حرام" يتناول ما يسكر، ولا فرق بين أن يكون المسكر مأكولا أو مشروبا، أو جامدا أو مائعا.

فلو اصطبغ كالخمر كان حراما، ولو أماع الحشيشة وشربها كان حراما، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بعث بجوامع الكلم، فإذا قال: كلمة جامعة، كانت عامة في كل ما يدخل في لفظها ومعناها، سواء كانت الأعيان، موجودة في زمانه، أو مكانه أو لم تكن.

وهذه الحشيشة:، فإنه أول ما بلغنا أنها ظهرت بين المسلمين في أواخر المائة السادسة وأوائل السابعة، حيث ظهرت دولة التتار، وكانت ظهرت مع ظهور "جنكيز خان" لما أظهر الناس ما نهاهم الله ورسوله عنه من الذنوب، سلط الله عليهم العدو ... وكانت هذه الحشيشة الملعونة من أعظم المنكرات، وهي شر من الشراب المسكر، من بعض الوجوه، والمسكر شر منها من وجه آخر، فإنها مع أنها تسكر آكلها، حتى يبقى مصطولا، تورث التخنيث والديوثة، وتفسر المزاج، فتجعل الكبير كالسفنجه، وتوجب كثرة الأكل، وتورث الجنون، وكثير من الناس صار مجنونا بسبب أكلها.

ومن الناس من يقول إنها تغير العقل فلا تسكر كالبنج، وليس كذلك بل تورث نشوة ولذة وطربا كالخمر، وهذا هو الداعي إلى تناولها، وقليلها يدعو إلى كثيرها كالشراب المسكر، والمعتاد لها يصعب فكاكه عنها أكثر من الخمر، فضرر ها من بعض الوجوه أعظم من الخمر، ولهذا قال الفقهاء: إنه يجب فيها الحد، كما يجب في الخمر. ثم أجاب في ص **206** على قول السائل: إن هذه ما فيها آية ولا حديث فقال: هذا من جهله فإن القرآن والحديث فيهما كلمات جامعة هي قواعد عامة، وقضايا كلية، تتناول كلما دخل فيها، وكلما دخل فيها فهو مذكور في القرآن والحديث باسمه العام، وإلا فلا يمكن ذكر شيء باسمه الخاص، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين، وقال: "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا" فاسم الناس يدخل فيه العرب وغير العرب، فلو قال قائل: إن محمدا لم يرسل إلى الترك والهند والبربر، لأن الله لم يذكرهم في القرآن، كان جاهلا .. إلى أنه قال: وأما المحققون من الفقهاء فعلموا أنها مسكرة، وإنما يتناولها الفجار، لما فيها من النشوة والطرب، فهي تجامع الشراب المسكر في ذلك، والخمر توجب الحركة والخصومة، وهذه

توجب الفتور والذلة، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل، وفتح باب الشهوة وما توجبه من الدياثة، مما هي أشر من المسكر، وإنما حدثت في الناس بحدوث التتار.

نسأل الله أن يحمي المسلمين من شرورها ومن الساعين وراءها إنه ولي ذلك.

كذلك الدهر:

جاء في خزانة الأدب للبغدادي، أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما قدم القادسية، أتته حرقة بنت النعمان بن المنذر فرجوا كلهن في مثل زيها، يطلبن صلته.

فلما وقفن بين يديه قال: أيتكن حرقة؟ قلن: هذه .. قال لها: أنت حرقة؟ قالت: نعم، فما تكرارك في السؤال؟ إن الدنيا دار زوال، لا تدوم على حال، إنا كنا ملوك هذا المصر، يجبى إلينا خراجه، ويطيعنا أهله، مدى الإمرة، وزمان الدولة، وكذلك الدهر يا سعد، إنه ليس يأتي قوما بمسرة إلا ويعقبهم حسرة، ثم أنشأت تقول:

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد: قاتل الله عدي بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول:

إن للدهر صولة فاحذرنها لا تبتن قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى ولقد كان آمنا مسرورا

ودخل عمرو بن معديكرب وكان من قصاد النعمان وهي بين يدي سعد، فلما نظر إليها قال: أنت حرقة؟ قالت: نعم. قال: فما دهمكِ؟ أين تتابع نعمكِ، وسطوات نقمكِ؟ فقالت: يا عمرو، إن للدهر عثرات، تعثر بالملوك، وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة، وتفردهم بعد منعة، وتذلهم بعد عز، إن هذا الأمر كنا ننتظره، فلما حل لم ننكره .. فلما انصرفت من لدن سعد لقيها نساء القادسية، فقلن لها: ما فعل بك الأمير؟ قالت: أكرم وجهي، وإنما يكرم الكريم الكريم. [3 / 181]

فوائد: إن الرزق وإن كان مقسوما، ولكن السعي في طلبه أمر محتم، على كل فرد، فيجب أن تشتغل بما تحصل به على معاشك، ولا تنتظر أن السماء تمطر لك ذهبا، أو الأرض تنبت لك الفضة، ولا تخجل من كونك تكسب قليلا، بل العار الأكبر، والخزي الأعظم هو قدرتك على الكسب أو استعمال الحيل في السرقة والنهب.

* * *

مكانة الصحابة

رحماء بينهم
التراحم بين آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وبين بقية الصحابـــة رضي الله عنهم أجمعين

الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له.

أما بعد:

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم، وهذه حقيقة شرعية يتفق عليها أهل الإسلام جميعا، وهذا الاتفاق نعمة كبرى على هذه الأمة ولله الحمد والمنة.

ولا عبرة بمن شذ من الأمة في تفضيل بعض الأئمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلم أو غيره [1] ، فهذه الروايات المدونة في الكتب تجد من يؤولها أو يضعفها.

إن وضوح منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته وأنه صاحب الشفاعة الكبرى والحوض المورود،وصاحب المنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة – هي الحقائق لا ينكرها أحد.

لقد انتقلت بركات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أقاربه آل البيت وأصحابه رضي الله عن الجميع.

فمنزلة آل البيت كبيرة، وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث متواترة في بيان ذلك، وهي تشمل من صحب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشمل ذرياتهم، وفيها بيان فضلهم ومنزلتهم.

وكذلك كل ما ورد في الصحابة رضي الله عنهم، فإن آل البيت عليهم السلام الذين فازوا بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أول من يشمله ذلك.

وقد سبق في الرسالة الأولى الحديث عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الوريقات سوف أتحدث عن الرحمة بين هؤلاء الأصحاب رضي الله عنهم، وينبغي علينا عدم السآمة من الحديث عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها، والتلازم بين صاحب البركات الذي بمجرد الإيمان به وصحبته فاز الأصحاب بلقب "صحابي" واختلفت منازلهم ودرجاتهم في جنات النعيم بأعمالهم وجهادهم مع سيد المرسلين، وكذلك منازلهم في الدنيا من

[1] بوب المجلسي في بحار الأنوار بابا سماه: "باب أن الأئمة أعلم من الأنبياء" (2 / 82). وانظر: أصول الكافي (1 / 227).

المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم،وكلا وعد الله الحسنى، قال الله تعالى: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير). (سورة الحديد)

فالجميع لهم فضلهم ومنزلتهم، وعلينا إدراك عظم الصحبة، وأنها منزلة قائمة بذاتها، ومنازلهم بحسب أعمالهم، فهم طبقات: فالسابقون الأولون لهم أعلى المنازل، ومن جمع الله له بين الصحبة والقربى – وهم آله الأطهار – فسلام عليهم ورضي الله عنهم فلهم منزلة الصحبة وحق القربى، ومنازلهم بحسب أعمالهم.

أيها القارئ الكريم! إن البحث عن أسباب الافتراق في الأمة وعلاجها مطلب شرعي، وحديثي عن قضية كبرى، لها آثارها التي عصفت بالأمة، وسوف أختصر الكلام عن الرحمة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من آل البيت عليهم السلام وسائر الناس، فمع ما جرى بينم من حروب إلا أنهم رحماء بينهم، وهذه حقيقة وإن تجاهلها القصاصون، وسكت عنها رواة الأخبار، فستبقى تلك الحقيقة ناصعة بيضاء تردّ على أكثر أصحاب الأخبار أساطيرهم وخيالاتهم التي استغلها أصحاب الأهواء والأطماع السياسية، والأعداء لتحقيق مصالحهم وتأصيل الافتراق والاختلاف في هذه الأمة.

نداء: إلى الباحثين والكَتَبة عن تاريخ الأمة، بل إلى الداعين إلى وحدة الكلمة وتوحيد الصف، إلى الذين يتحدثون عن خطورة العولمة وآثارها ووجوب توحيد الصف لمواجهة آثارها.

بل إلى كل غيور على هذه الأمة، أقول: لماذا تثير قضايا ومسائل تاريخية لها آثارها السلبية وتؤصل العداوة من غير بحث ونظر ؟؟ ألأجل جماهير العوام، أو لأجل تقليد أعمى أو كسب مادي ؟!!

إنك تعجب من كثير من الكتاب والباحثين الذين يقضون أوقاتا ويبذلون جهودا كبيرة في مسائل تاريخية أو فكرية هي مبنية على روايات ضعيفة واهية أو أهواء ونحو ذلك، بل منهم من يعتقد أنه يحسن صنعا وأنه وصل إلى حقائق علمية !!! وما وصلوا إليه فيه تفريق للأمة، وإذا سألتهم عن ثمار عملهم وجهدهم لا تجد جوابا !! وأحسنهم حالا من يقول لك: لأجل العلم وكفى !!! وأين هنا الأساس العلمي الذي اعتمد عليه ؟؟.

وقد سبق في رسالة الصحبة بيان التلازم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وأن من مهام الرسول صلى الله عليه وسلم تزكية الذين آمنوا به، وهم الأميون الذين أكرمهم الله بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحبته، قال الله تعالى: (هو الذي بعث في

الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (سورة الجمعة).

فهؤلاء هم الذين قام رسول الرحمة والهدى بتربيتهم (تزكيتهم) وتعليمهم.

وقد سبق الحديث – أيضا – عن التلازم بين الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وبين جنده.

والرسول القدوة صلى الله عليه وسلم والذين أخذوا عنه .

والرسول صلى الله عليه وسلم الجار والذين جاوروه وعاشوا معه .

والرسول صلى الله عليه وسلم الإمام والذين كانوا تحت سلطانه .

أيها القارئ الكريم! لا شك ولا ريب لديك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قام خير قيام بما أمره الله سبحانه وتعالى من إبلاغ الرسالة، وتزكية أصحابه وتعليمهم وغير ذلك، ومن ثمار هذه التزكية تلك الخصال الحميدة التي أصبحت سجية للصحابة رضي الله عنهم.

ويكفي أنهم خير أمة أخرجت للناس، قال الله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) [آل عمران: 110).

فتأمل قوله سبحانه(أخرجت) مَن الذي أخرجهم وجعل لهم هذه المنزلة؟ وهذا مثل قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [البقرة: 143].

والآيات التي أنزلها الله تعالى في وصفهم والثناء عليهم وذكرهم كثيرة جدا، وقد سبق الحديث عن بعض مواقفهم وما نزل فيها من آيات فلا داعي للتكرار.

من صفات أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم:

أيها القارئ الكريم! تذكر أن هؤلاء جيل فريد، فقد حصلت لهم مزايا لا يمكن أن تحصل لغيرهم، فقد فازوا بشرف الصحبة، صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو الذي ربّاهم وعلّمهم وأدّبهم، وبهم جاهد الكفار، وهم الذين نصروه.

ونقف مع صفة واحدة من صفاتهم ينبغي أن تدرس وتشرح ويسود ذكرها وتصبح معلومة لدى المسلمين على اختلاف فرقهم وطوائفهم !

أتدري ما هي تلك الصفة ؟ إنها صفة الرحمة.

والسؤال: لماذا الحديث عن تلك الصفة؟

هل فكرت معي أيها المطالع الكريم عن سر هذه الصفة العزيزة ؟ إنك ستجد – ولا شك – أسبابا كثيرة للحديث عنها، ولكني أذكر لك ههنا عدة أسباب بُغية الاختصار لهذه الرسالة.

أما السبب الأول: فهو لذات الصفة وما فيها من معان، وما ورد فيها من آيات وأحاديث وآثار عن سيد الأبرار صلوات الله عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار، فربنا سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم.

وقد قال سبحانه في وصف الحبيب صلى الله عليه وسلم: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [سورة التوبة] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لا يرحم لا يُرحم" (متفق عليه)

والحديث عن ذات الصفة يطول، والنصوص الواردة فيها كثيرة لا تخفى عليك.

السبب الثاني: أن الله سبحانه وتعالى اختار هذه الصفة في الثناء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي اختيار هذه الصفة دون غيرها حِكم وفوائد بالغة الأهمية، ومن الإعجاز العلمي وصفهم بتلك الصفة.

ومن تأمل فيها ظهر الإعجاز، وذلك أن النص جاء في تخصيص ذكر صفة الرحمة الموجودة فيما بينهم.

لماذا ذكر الله تلك الصفة دون غيرها ؟؟

لأن فيها الرد على الطعون التي لم تكن قد ظهرت وسُطرت في الكتب، وأصبحت فيما بعد أحاديث القصاصين ومن جاء بعدهم. والله أعلم.

قال الله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم رُكعا سُجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) [الفتح: 29].

السبب الثالث: أن تقرير هذه الحقيقة – أعني أن أصحابه رحماء بينهم، وأن صفة الرحمة متأصلة في قلوبهم – يرد الروايات والأوهام والأساطير التي صَوَّرت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنهم وحوش فيما بينهم، وأن العداوة بينهم هي السائدة !! نعم. إذا تأصل لديك أن الصحابة رحماءبينهم، واستقر ذلك في سويداء قلبك اطمأن القلب، وخرج ما فيه من غلّ للذين أمر الله تعالى بالدعاء لهم، قال الله تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) [سورة الحشر].

السبب الرابع: من الأصول المعتمدة لدى الباحثين: الاهتمام بالمتن مع السند، والبحث في متون الروايات بعد ثبوت أسانيدها وعرض الروايات على نصوص القرآن والأصول الكلية في الإسلام، وكذلك الجمع بين الروايات، هذا هو منهج الراسخين في العلم.

فلابد من اعتماد هذا المنهج في دراسة الروايات التاريخية، ولكن للأسف الشديد قد أهمل الباحثون دراسة الأسانيد واكتفوا بوجود الروايات في بطون كتب التاريخ والأدب ! ! والذين اهتموا بالأسانيد منهم من غَفَل من النظر في المتون ومعارضتها للقرآن.

أيها القارئ الكريم! قبل أن تحكم وتتعجل في توزيع الاتهامات، بل والأحكام معتمدا على رصيدك التاريخي والمعلومات الأسرية بل والشحن العاطفي – تمهل وطالع الأدلة التي ذكرتها هنا، وهي غير مألوفة مع وضوحها، وقربها، وقوة معانيها ودلالاتها، فهي تستند إلى الواقع المحسوس، وكذلك قوة النص القرآني، فهذه آخر آية في سورة الفتح: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما)[سورة الفتح].

وقال تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) [سورة الحشر] فاتل الآية وتأمل في معانيها يا رعاك الله !

المبحث الأول:دلالة التسمية

الاسم له إشارة على المسمى، وهو عنوانه الذي يُميزه عن غيره، وقد جرت عادة الناس على العمل به، فلا يشك عاقل في أهمية الاسم، إذ به يعرف المولود ويتميز عن إخوانه وغيرهم، ويصبح علما عليه وعلى أولاده من بعده، ويفنى الإنسان ويبقى اسمه.

والاسم مشتق من السمو، بمعنى العلو، أو من الوَسْم، وهو العلامة.

وكلها تدل على أهمية الاسم للمولود.

وأهمية الاسم للوالد لا تخفى، منها: الدلالة على دينه وعقله، فهل سمعت بأن النصارى أو اليهود تسمي أولادها محمدا – صلى الله عليه وسلم – ؟

أو أن المسلمين يسمون أولادهم اللات والعزى إلا من شذ ؟

فالابن يرتبط بأبيه من خلال الاسم، وينادي الأب والأهل ولدهم باسمه الذي اختاروه، فيكثر استعمال الاسم بين أفراد الأسرة، وقديما قيل: (من اسمك أعرف أباك).[1]

أهمية الاسم في الإسلام: ويكفي لمعرفة أهمية الاسم اهتمام الشريعة بالأسماء، فقد غيّر الرسول صلى الله عليه وسلم أسماء بعض الصحابة من الرجال والنساء، بل غيّر الرسول صلى

[1] انظر: تسمية المولود للعلامة الشيخ: بكر بن عبد الله أبوزيد.

الله عليه وسلم اسم مدينته التي كانت تسمى يثرب إلى المدينة، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسمية بملك الأملاك ونحوه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك" وأرشد الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى التسمية باسم عبدالله وعبد الرحمن ونحوهما مما فيه إشعار المسمى بعبوديته لله عز وجل، وكذلك تعبيد المرء لله عزوجل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن".

وكان رسولنا صلى الله عليه وسلم يعجبه الاسم الحسن ويتفاءل به، وهذا معروف من هديه عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

ومن المقرر لدى علماء الأصول واللغة أن الأسماء لها دلالات ومعان، وبحث تلك المسألة في كتب اللغة وأصول الفقه، فقد أطال العلماء رحمهم الله في بحث المسألة وما يتعلق بها ويتفرع عنها من مسائل كثيرة.

هل يعقل .. ؟!!

أيها القارئ الكريم! لا تعجل ولا تستغرب، وَاصِل معي القراءة وإجابات الأسئلة:

بماذا تسمي ولدك؟؟ هل تختار لولدك اسما له معنى محبب عندك وعند أمه وأهله أم تسمي ولدك بأسماء أعدائك ؟ يا سبحان الله !!

نختار لأنفسنا أسماء لها دلالة ومعنى لدينا، والذين هم من خير الناس نرفض ذلك في حقهم ونقول: لا، هم اختاروا أسماء أولادهم لأسباب سياسية واجتماعية على غير ما اعتاده الناس، فاختيار الأسماء عندهم لا دلالة له ؟!!

عقلاء الأمة وسادتها، وأصحاب العزة في أنسابهم وأنفسهم يُحرمون من أبسط المعاني الإنسانية، فلا يسمح لهم أن يسموا أولادهم بأسماء أحبابهم وإخوانهم اعترافا بفضلهم ومحبتهم، بل يسمون بعض أولادهم بأسماء أعدائهم !! هل نصدق ذلك ؟؟

وللعلم: ليست تسمية عابرة لفرد، بل لمجموعة أولاد، وليست بعد نسيان العداوة بعد قرون، لا. بل جاءت التسمية في وقت ذروة العداوة — هكذا زعموا — ونحن نقول: بل في وقت ذروة المحبة .. وهذه مسألة مهمة لابد من دراستها والاهتمام بها، لأن فيها دلالات كبيرة جدا، وفيها الرد على الأساطير والأوهام، والقصص الخيالية، وفيها مخاطبة للنفس والعاطفة وإقناع للعقلاء، فلا يمكن ردها ولا تأويلها.

وبعد ذلك إليك المقصود:

- سيدنا علي، من فرط محبته للخلفاء الثلاثة سمى بعض أولاده بأسمائهم وهم:

- **أبو بكر بن علي بن أبي طالب: شهيد كربلاء مع أخيه الحسين عليهم وعلى جدهم أفضل الصلاة والسلام.**
- **عمر بن علي بن أبي طالب: شهيد كربلاء مع أخيه الحسين عليهم وعلى جدهم أفضل الصلاة والسلام.**
- **عثمان بن علي بن أبي طالب: شهيد كربلاء مع أخيه الحسين عليهم وعلى جدهم أفضل الصلاة والسلام.**
- **وأما الحسن عليه السلام فقد سمى أولاده أبا بكر بن الحسن .. عمر بن الحسن .. طلحة بن الحسن، وكلهم شهدوا كربلاءمع عمهم الحسين عليه السلام.**
- **والحسين عليه السلام سمى ولده: عمر بن الحسين.**
- **وسيد التابعين علي بن الحسين زين العابدين الإمام الرابع عليه السلام سمى ابنته: عائشة، وسمى ابنه عمر وله ذرية من بعده.** [1]

وكذلك غيرهم من آل البيت من ذرية العباس بن عبد المطلب، وذرية جعفر بن أبي طالب، ومسلم بن عقيل، وغيرهم، وليس هنا محل استقصاء الأسماء، بل المراد ذكر ما يدل على المقصود، وقد سبق ذكر أولاد علي والحسن والحسين عليهم السلام.

المناقشة:

من الشيعة من ينكر: أن عليا وأولاده عليهم السلام سموا أولادهم بهذه الأسماء، وهذا صنيع من لا علم له بالأنساب والأسماء، وصلته بالكتب محدودة. وهم قلة ولله الحمد.

وقد رد عليهم كبار أئمة الشيعة وعلمائهم، لأن الأدلة على وجود هذه الأسماء قطعية من الواقع: من وجود ذرياتهم، ومن خلال كتب الشيعة المعتمدة، حتى الروايات في مأساة كربلاء، حيث استشهد مع الإمام الحسين أبوبكر بن علي بن أبي طالب، وكذلك أبوبكر بن الحسن بن علي عليهم السلام. ومن سبق ذكرهم.

فهؤلاء استشهدوا مع الحسين، وقد ذكر ذلك الشيعة في كتبهم، ولا تقل: إنك لا تسمع هذه الأسماء في الحسينيات، وفي المأتم أيام عاشوراء، فإن عدم ذكرهم لا يعني عدم وجودهم. وقد كان عمر بن علي بن أبي طالب وعمر بن الحسن من الفرسان المشهود لهم بالبلاء في ذلك اليوم.

---

[1] انظر: كشف الغمة (2 / 334)، الفصول المهمة (283)، وكذلك سائر الأئمة الاثني عشر تجد هذه الأسماء في ذريتهم، وقد تحدث علماء الشيعة عن ذلك وذكروا الأسماء يوم الطف من (17 – 185). انظر على سبيل المثال: أعلام الورى للطبرسي (203)، والإرشاد للمفيد (186)، وتاريخ اليعقوبي (2 / 213).

المهم أن مسألة (تسمية الأئمة عليهم السلام أولادهم بأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة) هذه المسألة لا نجد لها جوابا شافيا مقنعا عند الشيعة، فلا يمكن أن نجعل الأسماء لا دلالة لها ولا معنى، ولا يمكن أن نجعل المسألة (دسيسة) قام بها أهل السنة في كتب الشيعة، لأن معنى ذلك الطعن في جميع الروايات في كل الكتب، فكل رواية لا تُعجب الشيعة يمكن أن يقولوا: هي دسيسة وكذب. بل يطرد القول في كل رواية لا توافق هوى ذاك العالم فيردها بكل بساطة ويقول: هي دسيسة !! لاسيما أن لكل عالم الحق في قبول الروايات أو ردها، فلا ضابط لذلك عندهم.

ومن الطرائف المضحكة المبكية أنه قيل: إن التسمية بأسماء كبار الصحابة الذين تقدم ذكرهم لأجل سبهم وشتمهم !! قيل: إن التسمية لأجل كسب قلوب العامة، فالإمام سمى أولاده لكي يشعر الناس بمحبته للخلفاء ورضاه عنهم !!! (أي: تقية). يا سبحان الله! هل يجوز لنا أن نقول بأن الإمام يفعل أعمالا يغرر أصحابه وعامة الناس بها ؟؟ وكيف يقوم الإمام بالإضرار بذريته لأجل هذا ؟؟

ومن هم الذين يداريهم الإمام بهذه الأسماء ؟ تأبى شجاعته وعزته عليهم السلام أن يهين نفسه وأولاده لأجل بني تيم أو بني عدي أو بني أمية.

والدارس لسيرة الإمام يدرك حق اليقين أن الإمام من أشجع الناس، بخلاف الروايات المكذوبة التي تجعل منه جبانا لا يثأر لدينه ولا لعرضه ولا لكرامته، وما أكثرها للأسف الشديد.

النتيجة: إن ما قام به الأئمة: علي وبنوه عليهم السلام من أقوى الأدلة العقلية والنفسية والواقعية على صدق محبة آل البيت للخلفاء الراشدين وسائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنت بنفسك تعيش هذا الواقع فلا مجال لرده، وهذا الواقع مصدق لقوله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) [الفتح: 29].

أيها القارئ الكريم! غير مأمور أعد تلاوة الآية وتدبر في معانيها، وتأمل في صفة الرحمة.

(يتبع)

* * *

أعلام الإسلام:

تحفة الأخباري بترجمة البخاري

(2) للإمام الحافظ ابن ناصر الدمشقي (777- 842 هـ)

تحقيق وتعليق: الشيخ محمد بن ناصر العجمي (الكويت)

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: سمعت سُليم بن مجاهد: كنتُ عند محمد بن سلام البيكندي، فقال لي: لو جئتَ قبلُ لرأيتَ صبيا يحفظ سبعين ألف حديث — يعني البخاري –، قال: فخرجتُ في طلبه حتى لقيتُه، فقلت: أنت الذي تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم، وأكثرَ منه، ولا أجيئك بحديث من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتَهم ومساكنَهم،ولستُ أروي حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

وقال علي بن الحسين بن عاصم البيكندي: قدم علينا محمد بن إسماعيل فاجتمعنا عنده، ولم يكن يتخلف عنه من المشايخ أحد، فتذاكرنا عنده، فقال رجل من أصحابنا — أراه حامدَ بن حفص –: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي. قال: فقال محمد بن إسماعيل: أوَتعجَبُ من هذا؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه. وإنما عَنى به نفسه. [2]

وقال أبو أحمد بن عدي: حدثني محمد بن أحمد القومسي، سمعت محمد بن حمدويه، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح. [3]

وروي أنه قدِمَ بلخَ فسأله أهلُها أن يمليَ لكل واحد من مشايخه حديثا، فأملى ألف حديث لألف شيخ ممن سمع منهم وما ظفروا منه بسقطة.

---

[1] "تاريخ بغداد" (2 / 24، 25)، و "تاريخ دمشق" (15 / 43 أ)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1173)، و "السير" (12 / 417)، و "طبقات" السبكي (2 /218، 219)، و "مقدمة الفتح" ص 483.

[2] "تاريخ بغداد" (2 / 25)، و "تاريخ دمشق" (15 / 43 أ)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1173)، و "السير" (12 / 416)، و "طبقات" السبكي (2 / 211)، و "مقدمة الفتح" ص 487.

[3] "الكامل" لابن عدي (1 / 140)، و "تاريخ بغداد" (2 / 25)، و "تاريخ دمشق" (15 / 43 أ)، و "طبقات الحنابلة" (1 / 275)، و "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 68 /1)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1173)، و "السير" (12 / 415)، و "طبقات) السبكي (2/ 218)، و "مقدمة الفتح" ص 487.

وخرّج الحافظ أبوبكر الخطيب في "تاريخه" من حديث يوسف بن موسى المروزي قال: كنت بالبصرة في جامعها، إذ سمعت مناديا ينادي: يا أهل العلم، قد قدِم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه، وكنتُ معهم، فرأيت رجلا شابا، لم يكن في لحيته شيء من البياض، يصلي خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم إلى ذلك. فقام المنادي ثانيا فنادى في جامع البصرة: قد قدم أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء، فقد أجاب بأن يجلس غدا في موضع كذا، قال: فلما أن كان بالغداة حضر الفقهاء، والمحدثون، والحفاظ، والنُظّار، حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألفا.

فجلس أبوعبد الله محمد بن إسماعيل للإملاء، فقال قبل أن أخذ في الإملاء، قال لهم: يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكلّ، فتعجب الناس من قوله، ثم أخذ في الإملاء فقال: ثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي روّاد العتكي بلديكم، أنا أبي، عن شعبة، عن منصور وغيره، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ... ، فذكر حديث: "المرء مع من أحب"، ثم قال محمد بن إسماعيل: هذا ليس عندكم إنما عندكم عن غير منصور، عن سالم، قال يوسف بن موسى: وأملى عليهم مجلسا على هذا النسق، يقول في كل حديث: روى شعبة هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلا فليس عندكم، أو كلاما ذامعناه. [1]

وقال أبو علي صالح بن محمد البغدادي: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملي له ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا. [2]

وقال الحافظ أبوبكر الخطيب في "تاريخه": حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي: أنا أحمد بن الحسن الرازي، سمعت أبا أحمد بن عدي يقول: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخرودفعوها إلى عشرة أنفس، إلى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضر

---

[1] الخبر ذكره الخطيب في "تاريخه" (2 / 15 ، 16)، وابن عساكر في "تاريخه" (15 / 44 أ). وانظر: "السير" (12 / 409 ، 410)، "طبقات" السبكي (2 / 219)، و "مقدمة الفتح".

والحديث أخرجه بنحوه البخاري (13/ 131 – فتح) ، ومسلم (4 / 2032) من حديث أنس.

[2] "تاريخ بغداد" (2 / 20)، و "السير" (12 / 433).

المجلس يُلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلسَ جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان، وغيرهم من البغداديين.

فلما اطمأن المجلس بأهله انتدَب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهِمَ، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد، حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب له الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري رحمه الله لا يزيدهم على "لا أعرفه".

فلما عَلِم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فردّ كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرينَ مثل ذلك، وردّ متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقرَّ له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

قال ابن عدي: وكان ابن صاعد إذا ذكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النطّاح، خرّجه أبوأحمد بن عدي كما ساقه الخطيب إليه في كتابه "أسامي رجال البخاري" [1] .

وقال أبوجعفر محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا عمرو المستنير بن عتيق البكري، سمعت رجا بن المرجَّى يقول: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء.

فقال له رجل: يا أبا محمد كل ذلك بمرة ؟ فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض [2] .

---

[1] "أسامي من روى عنهم البخاري" لابن عدي (92 / ب، 93/ أ)، والخطيب في "تاريخ بغداد" (2 /20، 21)، و"تقييد المهمل" (1 / 15 / أ)، و "تاريخ دمشق" (15 / 44 أ)، و "وفيات الأعيان"(4 / 189)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1172)، و "السير" (12 / 409)، و "طبقات" السبكي (2 / 218).

[2] "تاريخ بغداد" (2 / 25)، و "تاريخ دمشق" (15 / 51 أ)، و "السير" (12 / 427)، و "مقدمة الفتح" ص 485.

وقال أبو بكر [1] أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي في كتابه "الألقاب": أخبرني أبوالفضل يعقوب بن إسحاق [2] ...، أنا أبو يعلى عبد المؤمن بن خلف يعني التميمي، ثنا الحسين [بن] حاتم عبيد [العِجل] قال: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج الحافظ، لم يكن [يبلغ] محمد بن إسماعيل. [ورأيت] أبا زرعة وأبا [حاتم] يستمعون إلى محمد بن إسماعيل أي شيء يقول، يجلسون تحته، قال: فذكر له قصة محمد بن يحيى فقال: ما له ولمحمد بن إسماعيل ؟ وكان محمد أمة من الأمم، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وبكذا، ويجله، وكان محمد بن إسماعيل دَيِّنا فاضلا يُحسن كل شيء. وخرجه الخطيب في "تاريخه" بنحوه.

وفي هذه الرواية تفضيل البخاري ومسلم والذهلي، وغيرهما [3] .

وحكى الشيخ أبو زكريا النووي رحمه الله، اتفاق العلماء على أن البخاري أجل من مسلم، وأعلم بصناعة الحديث منه، قال: وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث [4] .

ويشهد لقول النووي رحمه الله ما قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم في كتابه "معرفة علوم الحديث"، وحدَّث به البيهقي في "المدخل" عن الحاكم: حدثني أبونصر أحمدبن محمد الوراق، سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون القصار – يعني الأعمش – سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري، فقبّل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبّل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله، حدّثك محمد بن سلام، ثنا مخلد بن يزيد الحرّاني، أنا ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في "كفارة المجلس"، فما علته ؟

وفي رواية البيهقي: فقال البخاري: وثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، قالا: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في: كفارة المجلس أن يقول إذا قام من مجلسه: "سبحانك ربنا وبحمدك"، فقال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح، ولا أعلم في

---

[1] من قوله: "وقال أبو بكر أحمد ... " إلى قوله: " .... والذهلي، وغيرهما" ألحقه الناسخ في الحاشية، وقد حصل في بعض الكلمات تآكل في طرف المخطوطة.

[2] تآكلت هذه الكلمة في طرف المخطوط، ولم يتبين هذا الراوي بعد تتبع لبعض كتب الرجال.

[3] "تاريخ بغداد" (2 / 30)، و "تاريخ دمشق" (15 / 50 أ)، و "السير" (12/ 436)، وما بين المعقوفين منها، ومن سياق الكلام ومراجعة رجال السند من كتب الرجال.

[4] "شرح النووي على صحيح مسلم" (1 / 14).

الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث، إلا أنه معلول، ثنا به موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، ثنا سهيل، عن عون بن عبد الله قوله، قال محمد بن إسماعيل، هذا أولى فإنه لا نذكر لموسى بن عقبة سماعا من سهيل، وفي رواية البيهقي بعد هذا: وسهيل بن ذكوان مولى جويرية، وهم إخوة: سهيل، وعباد، وصالح بنو أبي صالح وهم من أهل المدينة [1] .

وهذه القصة خرّجها أبو بكر الخطيب في "تاريخه" فقال: أنا أبو حازم العبدوي – يعني عمر بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري – قال: سمعت الحسن بن أحمد الزنجوي، سمعت أحمد بن حمدون الحافظ، يقول: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري، فجاء مسلم بن الحجاج فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، ومعنا أبو عبيدة [2] .

فقال محمدبن إسماعيل: ثنا ابن أبي أويس، حدثني أخي أبو بكر، عن سليمان بن بلال، عن عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر، القصة بطولها [3] . فقرأ عليه إنسان حديث حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، حدثني سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كفارة المجلس إذا قام العبد أن يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك".

فقال: أتعلم في الدنيا أحسن من هذا الحديث؟ ابن جريج عن موسى بن عقبة، عن سهيل، تعرف [4] بهذا الإسناد في الدنيا حديثا؟ قال له محمد: لا، إلا أنه معلول، فقال

---

[1] "علوم الحديث" للحاكم ص **113**، **114**، والبيهقي في "المدخل" كما في "هدي الساري" ص **488**، و "النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر (**2** / **718**)، وذكره الخطيب في "تاريخه" (**13** / **102**، **103**)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (**15** / **45** أ) من طريق الحاكم به.

مهمة:

قال الحافظ ابن حجر – أسبغ الله عليه الرحمة والرضوان – في "النكت على كتاب ابن الصلاح" (**2** / **715**): (الحكاية صحيحة قد رواها الحاكم على الصحة من غير نكارة، وكذا رواها البيهقي عن الحاكم على الصواب كما سنوضحه، لأن المنكر منها إنما هو قوله: "إن البخاري قال: لا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث الواحد المعلول. والواقع أن في الباب عدة أحاديث لا يخفى مثلها على البخاري".

والحق أن البخاري لم يعبر بهذه العبارة). ا هـ. مختصرا.

وقد أفاض الحافظ وساق الحكاية الصحيحة وأبان عن حال الحديث.

[2] أخرجه البخاري (**9** / **615**)، ومسلم (**3** / **1535**)، من حديث جابر بن عبد الله.

[3] في الأصل الخطّي: بطوله، وأشار على الهاء بعلامة التضبيب، وأثبتها هنا على الصواب، إذ القصة مؤنثة.

[4] في "تاريخ بغداد": "يعرف".

مسلم: لا إله إلا الله! وارتعد !! قال: أخبرني به؟ قال [1]: استر ما ستر الله، فإن هذا حديث جليل، رواه الخلق عن حجاج بن محمد، فألحّ عليه، وقبّل رأسه، وكاد أن يبكيَ مسلم.

فقال له أبو عبد الله: اكتب إن كان لابدّ: ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، حدثني موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كفارة المجلس"[2]، فقال له مسلم: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك [3].

في رواية الخطيب هذه ثلاثة أمور:

أحدها: وقف رواية حجاج على أبي هريرة: فلم يرفعه، ولم أعلم أحدا ممن رواه من هذه الطريق وقفه على أبي هريرة.

والثاني: إرساله عن عون بن عبد الله — وهو ابن عتبة بن مسعود — عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما حكم البخاري بأنه من قوله كما تقدم من رواية الحاكم.

والثالث: قوله: ثنا وُهيب، حدثني موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله، ورواية الحاكم: ثنا وهيب، ثنا سهيل، عن عون بن عبد الله هي الصواب والله أعلم، مع أن وهيبا روى عن سهيل، وموسى بن عقبة. وكما ذكره الحاكم ذكره البخاري في "تاريخه الكبير" فقال: وقال موسى عن وهيب، ثنا سهيل، عن عون بن عبد الله بن عتبة قوله، وحديث وهيب أولى[4].

نعم، وقد تعجّبت من الحاكم أبي عبد الله رحمه الله حيث روى القصة في تعليل البخاري الحديث في كتابه "علوم الحديث" وقول البخاري: إلا أنه معلول، ثنا به موسى بن إسماعيل، ثنا سهيل، عن عون بن عبد الله قوله.

وحيث قال في كتابه "المستدرك" في كتاب "الدعوات": ثنا أبوبكر محمد بن عبد الله الشافعي، ثنا محمد بن الفرج الأزرق، ثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرني

---

[1] في "تاريخ بغداد": "وقال".

[2] وتمام الحديث: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله الا أنت، أستغفرك وأتوب إليك ..... ".

أخرجه أحمد (2 / 494)، والترمذي (3433)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (397 مكرر)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (447)، والطبراني في "الأوسط" (77) وفي "الدعاء" (1914)، والحاكم (1 / 536، 537)، والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (2 / 132)، كلهم من طريق حجاج بن محمد، عن ابن جريج، أخبرني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة به. وإسناده حسن.

فقد صرح ابن جريج عند أحمد والطبراني في أوسطه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: "حسن غريب صحيح". وأخرجه ابن حبان (594 — الإحسان) من طريق أبي قرة، عن ابن جريج به. وللحديث شواهد عن جماعة من الصحابة، اعتنى بها تخريجا وتطريقا، الحافظ ابن حجر في "النكت على ابن الصلاح" (2 / 726 — 741)، و "فتح الباري" (13 / 544 — 545).

[3] "تاريخ بغداد" (2 / 28 ، 29) ، و "تاريخ دمشق" (15 / 45 أ).

[4] انظر بتفصيل: "علل الحديث" للرازي (2 / 195 ، 196)، و "النكت على كتاب ابن الصلاح" لابن حجر (2 / 718).

موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، فذكره مرفوعا [1] .

قال: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم، إلا أن البخاري قد علله بحديث وهيب، عن موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن كعب الأحبار من قوله، والله أعلم.

فانظر كيف حكى الحاكم عن البخاري في تعليل الحديث غير ما رواه عنه في كتابه "علوم الحديث"، ورواه الناس، وهذا عجيب منه! ولم أرَ أحدا نبّه عليها [2] .

[قال] [3] الحاكم أبو عبد الله: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي محمد بن إسماعيل البخاري، وهو يسأله سؤال الصبي المتعلم.

وقال أبو يعلى الخليلي الحافظ: وسمعت عبد الرحمن بن محمد بن فضالة [4] الحافظ يقول:

[سمعت أبا أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الكرابيسي الحافظ يقول: رحم الله الإمام محمد بن إسماعيل فإنه الذي ألف الأصول، وبين للناس، وكل من عمل بعده فإنما أخذ من كتابه كمسلم بن الحجاج فرّق كتابه في كتبه وتجلد فيه حق الجلادة حيث لم ينسبه إلى قائله. ولعل من ينظر في تصانيفه لا يقع فيها ما يزيد إلا ما يسهل على من يعده عدا. ومنهم من أخذ كتابه فنقله بعينه إلى نفسه ! كأبي زرعة وأبي حاتم ! فإن عاند الحق معاند فيما ذكرت، فليس يخفى صورة ذلك على ذوي الألباب]. [5]

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري. [6]

وقال وراقة بن أبي حاتم: سمعت عمر بن حفص الأشقر، سمعت عبدان يقول: ما رأيت بعيني شابا أبصر من هذا، وأشار بيده إلى محمد بن إسماعيل. [7]

---

[1] تقدم تخريجه ص 49 – 50).

[2] أفاض في التنبيه عليها عصري المصنف الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (13/ 545).

[3] زياد يقتضيها المقام ولا وجود لها في الأصل.

[4] من قوله: "نعم وقد تعجبت من الحاكم ..." إلى قوله: "عبد الرحمن بن محمد بن فضالة الحافظ"، هذاكله في الحاشية، وقد وقعت بعض الكلمات في أطراف المخطوطة وتآكلت، ولكن بفضل الله تم استداركها من المصادر التي نقل عنها المصنف، وما بين المعقوفين الآتي سقط من الناسخ فلم يذكره.

[5] "الإرشاد" لأبي يعلى الخليلي (3 / 962 – 966)، وعنه "النكت" لابن حجر (2851).

[6] "تاريخ بغداد" (2 / 17)، و "تاريخ دمشق" (15 / 49 أ)، و "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 168)، "تهذيب الكمال" (3 / 1172)، و "السير" (12 / 421).

[7] "تاريخ بغداد" (2 / 24)، و "تاريخ دمشق" (15 / 50 ب)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1172)، و "السير" (12 / 419).

وقال الوراق أيضا: حدثني حاشد بن عبد الله بن عبدالواحد: سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقي يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة. [1]

وقال الوراق: سمعت حاشد بن عبد الله: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من أحمد بن حنبل، فقال له رجل من جلسائه: جاوزتَ الحد، فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا، ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث. [2]

وخرّج أبو عبد الله محمد بن أحمد غنجار، وأبو بكر أحمد بن علي الخطيب في "تاريخهما" من طريق إسحاق بن أحمد بن زيرك، سمعت محمد بن إدريس الرازي – يعني أبا حاتم – يقول – في سنة سبع وأربعين ومائتين –: يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه، ولا قدم العراق أعلم منه، فقدم علينا بعد ذلك بأشهر محمد بن إسماعيل. [3]

وقال أبو عيسى محمدبن عيسى بن سَورة السُّلمي الترمذي في آخر "جامعه":

ولم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ، ومعرفة الأسانيد كثير أحد أعلم من محمد بن إسماعيل. [4]

وقال إبراهيم بن محمد بن سلام: إن الرتوت من أصحاب الحديث مثل سعيد بن أبي مريم المصري، ونُعيم بن حماد، والحميدي، والحجاج بن منهال، وإسماعيل بن أبي أويس، والعدني، والحسن الخلال بمكة، ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة، ومحمد بن العلاء، والأشج، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وإبراهيم بن موسى الفراء، كانوا يهابون محمد بن إسماعيل، ويقضون له على أنفسهم في المعرفة والنظر. [5]

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة، والشام، والحجاز، والكوفة، ورأيت علماءها كلها [6] ، فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضّلوه على أنفسهم. [7]

---

[1] "السير" (12 / 424)، و "طبقات" السبكي (2 / 223)، و "مقدمة الفتح" ص 483.

[2] "تاريخ دمشق" (15 / 50 ب)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1172)، و "السير" (12 / 420)، و "مقدمة الفتح" ص 482، وقد بالغ أبو مصعب هذا، ولعله لم يقف على تلك المسائل المنثورة عن أحمد رحمه الله تعالى.

[3] "تاريخ بغداد" (2 / 23)، و "تقييد المهمل" (10 / أ)، و "تاريخ دمشق" (15 / 43 ب)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1172)، و "السير" (12 / 433).

[4] "العلل" للترمذي (5 / 738 – من المطبوع من "جامعه").

[5] "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 70)، و "السير" (12 / 425)، و "مقدمة الفتح" ص 482.

والرتوت: هم الرؤساء، قاله ابن الأعرابي وغيره. ذكره الحافظ في "مقدمة الفتح" (ص 482).

[6] كذا في الأصل، ولا وجود لهذه الكلمة في المصادر التي ذكرت هذه الخبر.

[7] "تاريخ بغداد" (2 / 19)، و "تقييد المهمل" (9 / ب)، و "تاريخ دمشق" (15 / 51 ب)، و "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 69 / 1)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1172)، و "السير" (12 / 422)، و "مقدمة الفتح" ص 485.

وقال حاتم بن مالك الوراق: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقيهنا، وفقيه خراسان. [1]

وقال خلف بن محمد: سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر الخفاف يقول: محمد بن إسماعيل أعلم في الحديث من إسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وغيره بعشرين درجة، قال أبو عمرو الخفاف: ومن قال في محمد بن إسماعيل شيئا فمنّي عليه ألف لعنة. [2]

قال: وسمعت أبا عمرو الخفاف يقول: لو دخل محمد بن إسماعيل من هذا الباب لملئت منه رعبا، يعني: لا أقدر أن أحدث بين يديه. [3]

وقال خلف: سمعت أبا عمرو الخفاف يقول: ثنا محمد بن إسماعيل البخاري التقي النقي العالم الذي لم أر مثله. [4]

وقال خلف بن محمد، وأبو أحمد عبد الله بن يوسف الشافعي: سمعنا أبا جعفر محمد بن يوسف بن الصديق الوراق، سمعت أبا محمد عبد الله بن حماد الآملي يقول: وودت أني شعرة في صدر محمد بن إسماعيل. [5]

وقال أبو سعيد حاتم بن محمد بن حازم: سمعت موسى بن هارون الحمال يقول: لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصِّبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر، ما قدروا عليه. [6]

وقال الحاكم أبو عبد الله: سمعت يحيى بن عمرو بن صالح الفقيه يقول: سمعت أبا العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه – يعني الدغولي – يقول: كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخاري:

المسلمون بخير ما بقيت لهم
وليس بعدك خير حين تفتقد [7]

وبلغنا أن البخاري رحمه الله دخل إلى بغداد ثماني مرات، وتخرج به أرباب الدراية، وانتفع به أهل الرواية، وكان فرد زمانه، حافظا للسانه، ورعا في جميع شأنه، هذا مع علمه

---

[1] "السير" (12 / 425).
[2] "تايخ دمشق" (15 / 48 أ)، و "السير" (12 / 436،435)، و "طبقات" السبكي (2 / 221، 225)، و "مقدمة الفتح" ص 485.
[3] "تاريخ دمشق" (15 / 48 أ)، و "طبقات" السبكي (2 / 221)، و "مقدمة الفتح" ص 485.
[4] "تاريخ بغداد" (2 / 28)، و "تاريخ دمشق" (15 / 51 ب)، و "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 69 / 1)، و "طبقات" السبكي (2 / 225)، و "السير" (12 / 436 ، 442)، و "مقدمة الفتح" ص 485.
[5] "تاريخ دمشق" (15 / 51 ب)، و "السير" (12 / 434).
[6] "تاريخ دمشق" (15 / 49 ب)، "السير" (12 / 434).
[7] "تاريخ بغداد" (2 / 22)، و "تقييد المهمل" (9 / ب)، و "تاريخ دمشق" (15 / 52 أ)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1172)، و "السير" (12 / 434)، و "مقدمة الفتح" ص 485.

الغزير، وإتقانه الكثير، وشدة عنايته بالأخبار، وجودة حفظه للسنن والآثار، ومعرفته بالتاريخ وأيام الناس ونقدهم، مع حفظ أوقاته وساعاته، والعبادة الدائمة إلى مماته.

خرج الخطيب في "تاريخه" من طريق أبي سعيد بكر بن منير: سمعت البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا. [1]

وخرج أيضا من حديث علي بن محمد بن منصور: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله بن إسماعيل، فرفع إنسان من لحيته قذاه، وطرحها على الأرض، قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض. [2]

وخرج أيضا من طريق غنجار في "تاريخه": ثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، سمعت أبا سعيد بكر بن منير يقول: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته، قال: انظروا أيش هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا الزنبور قد ورَّمه في سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته. [3]

وخرجه الخطيب أيضا من طريق محمد بن أبي حاتم وراق البخاري قال: دُعي محمد بن إسماعيل إلى بستان فصلى الظهر ثم قام يتطوع، فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، وقال لبعضهم: انظر هل ترى شيئا؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعا، وقد تورم من ذلك جسده، وكان آثار الزنبور في جسده ظاهرة، فقال بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة، فأحببت أن أتمها. [4]

وقال أبو جعفر بن أبي حاتم: كان أبو عبد الله، إذا كنت معه في سفر، يجمعنا بيت واحد [5] **في القيظ أحيانا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج، ثم يخرج أحاديث ويعلم عليها ثم ينام.** [6]

---

[1] "تاريخ بغداد" (2 / 13)، "طبقات الحنابلة" (1 / 276)، و "تهذيب الأسماء واللغات، (1 / 68 / 1)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1171)، و "السير" (12 / 437)، و "طبقات السبكي" (2 / 223 ، 224)، و "مقدمة الفتح" ص 480.

[2] "تاريخ بغداد" (2/ 13)، و "تاريخ دمشق" (15 / 48 ب)، و "مقدمة الفتح" ص 481.

[3] "تاريخ بغداد" (2 / 12)، و "تاريخ دمشق" (15 / 48 أ)، و "طبقات الحنابلة" (1 / 276)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1171)، و "السير" (12 / 441)، و "مقدمة الفتح" ص 480.

[4] "تاريخ بغداد" (2 / 12، 13)، و "تاريخ دمشق" (15 / 48 ب)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1171)، و "السير" (12/ 442)، و "مقدمة الفتح" ص 480.

[5] في سائر المصادر المخرجة لهذا الخبر: "إلا".

[6] "تاريخ بغداد" (2 / 13)، و "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 75 / 1)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1171)، و "السير" (12 / 404)، و "طبقات السبكي (2/ 220).

وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني، قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك. [1]

قال أبو جعفر: ورأيته استلقى على قفاه يوما، ونحن بفربر في تصنيف كتاب "التفسير"، وكان قد أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبدالله، سمعتك تقول يوما: إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت، قلت: وأي علم في هذا الاستلقاء؟ قال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح، وآخذ أهبة ذلك، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك. [2]

وقال الحاكم أبو عبد الله: حدثني أبو سعيد أحمد بن محمد النسوي، حدثني أبوحسان مهيب بن سليم، سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: اعتللت بنيسابور علة خفيفة وذلك في شهر رمضان، فعادني إسحاق بن راهويه في نفر من أصحابه، فقال لي: أفطرت يا أباعبد الله؟ فقلت: نعم، فقال لي: خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة، فقلت: أخبرنا عبدان، عن ابن المبارك، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: من أي المرض أفطر؟ فقال: من أي مرض كان، كما قال الله عز وجل: (فمن كان منكم مريضا) [البقرة: **184**]، قال البخاري: ولم يكن هذا عند إسحاق. [3]

وخرج أبو بكر الخطيب في "تاريخه" من طريق محمد بن يوسف الفربري: سمعت محمدا البخاري بخوارزم يقول: رأيت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل – يعني في المنام – خلف النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي، فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه، وضع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع. [4]

(يتبع)

***

[1] "تاريخ بغداد" (2 / 13 ، 14)، و "تاريخ دمشق" (15 / 45 ا)، و "السير" (12 / 441)، و "طبقات" السبكي (2 / 220)، و "مقدمة الفتح" ص 481 .

[2] "تاريخ بغداد" (2 / 14)، و "تاريخ دمشق" (15 / 45 ب)، و "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 76 / 1)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1171)، و "السير" (12 / 444)، و "طبقات السبكي" (2 / 226)، و "مقدمة الفتح" ص 480.

[3] أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (15 / 50 / ب).

[4] "تاريخ بغداد" (2 / 9، 10)، و "تاريخ دمشق" (15 / 47 ب).

التوجيه الإسلامي

لو أن لي دعوة مستجابة ....

الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد / الكويت

لا ريب أن الإمام العادل، والأمير الصالح أمان للبلاد والعباد، ولهذا عُدّ في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وكان سلف هذه الأمة — رحمهم الله — يخصون أئمة المسلمين وأمراءهم بالدعاء الصالح، لأنه بهم يعمّ العدل، وتؤدى الحدود والفرائض، ويقوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُدافع عن حوزة الإسلام، ويحافظ على مصالح الأمة الدينية والدنيوية.

قال الفضيل بن عياض — رحمه الله — : "لو أن لي دعوة مستجابة، ما جعلتها إلا في إمام، فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد". (سير أعلام النبلاء: 8 / 434)

وقال الإمام عبد الرزاق الصنعاني — رحمه الله —: "كنت مع الفضيل بمكة فمرّ هارون الرشيد، فقال الفضيل: الناس يكرهون هذا، وما في الأرض أعزّ عليّ منه، لو مات لرأيت أمورا عظاما".

وقال أيضا: "ما من نفس تموت أشد عليّ موتا من أمير المؤمنين هارون، ولوددت أن الله زاد من عمري في عمره. قال: فكبر ذلك علينا، فلما مات هارون وظهرت الفتن، وكان من المأمون ما حمل الناس على خلق القرآن، قلنا: الشيخ كان أعلم بما تكلم". (السير: 9 / 289)

وبموت الخلفاء والأمراء — غالبا — تنشأ القلاقل والفتن، وتنجم المشكلات والأزمات، لأجل التنافس في إدارة دفة الحكم في البلاد، لأن أمرها خطير لا يساوم ولا يقاوم.

قال سفيان الثوري — رحمه الله —: "ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى". (السير: 7 / 262)

وفي مثل هذه الظرف الدقيقة من الزمن يجب على أولياء الأمور وعامة المسلمين على السواء، أن يرجعوا إلى الله تعالى ويتقوه، ويلزموا بالهدوء والسكون، والحلم والرزانة، حتى لا يتطرق إليهم الشقاق والخلاف، ثم الوهن والاضطراب. (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين). (الأنفال: 46)

ذكر الإمام البخاري — رحمه الله — في صحيحه (1 / 139 رقم 58 مع الفتح) كلمة خالدة نصح بها الصحابي الناصح: جرير بن عبد الله البجلي — رضي الله عنه — أهل الكوفة،

يوم مات أميرها الصحابي الجليل: المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه –، فقال بعد الحمد لله والثناء عليه:

"عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير فإنما يأتيكم الآن.

ثم قال: "استعفوا لأميركم، فإنه كان يحب العفو.

ثم قال: أما بعد: فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قلت: أبايعك على الإسلام فشرط عليّ "والنصح لكل مسلم"، فبايعته على هذا. وربّ هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل".

- هذه النصيحة الخالدة النافعة تحتوي على أن الناس جميعا مطالبون بتقوى الله تعالى في مثل هذه الظروف الصعبة للخروج منها. قال الله تعالى: (... ومن يتق الله يجعل له مخرجا). (الطلاق: 2)

قال الحكم بن عمرو: "... أقسم بالله ! لو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد فاتقى الله يجعل له من بينهما مخرجا"؟ (السير: 2/ 475)

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله –: من لم تعزه التقوى فلا عزّ له". (السير: 10 / 97)

- ثم حث على لزوم الوقار والسكينة، والهدوء والسكون، والحلم والرزانة في مثل هذه الأوقات، لأن وفاة الأمير في الغالب تؤدي إلى الاضطراب والفتنة ولاسيما ما كان عليه أهل الكوفة إذ ذاك من مخالفة ولاة الأمور. (الفتح: 9 / 139)
- ثم ذكر أنه ناصح وفاء بما بايع عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأن كلامه خالص عن الغرض. ولا شك أن الدين هو النصح كما روى الإمام مسلم – رحمه الله – في صحيحه (1 / 74 رقم 55) عن تميم الداري – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"الدين النصيحة"، قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

فالنصيحة لأئمة المسلمين: إعانتهم على حمل أمانة الرعية، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، وردّ القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن ... (الفتح: 1/ 138)

ولنا عظة في كلمات السلف النيرات، وما أشبه الليل بالبارحة، وندعو الله تعالى أن تتفق الآراء، وتتوحّد الصفوف، وتجتمع الكلمة في صالح البلاد والعباد، وبالله التوفيق.

* * *

التوجيه الاجتماعي

التعايش مع غير المسلمين

الشيخ أبو القاسم عبد العظيم
هما للثقافة والإعلام، مئونات بنجن

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى من استن بسنته واهتدى بهداه، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

كلنا يعرف أن المجتمع الإنساني بحكم طبيعته المدنية يتكون من عناصر مختلفة وعديدة، وهذه العناصر قد تكون قائمة على الدين أو العرق أو النسل أو القبيلة، أوما إلى ذلك، فالمجتمع القائم على عناصر دينية قد يتكون من الأديان المؤتلفة أو المتضادة، وقد يتكون من الأفكار المتضاربة، كالكفر والشرك في مقابلة التوحيد، وقد يتكون من أفكار ذوات طابع واحد، مردها كلها إلى التوحيد والإيمان بالله وعدم الشرك به، وإن كان قد دخل فيها بعض الاعوجاج لمرور الزمن، مثل ملل أهل الكتاب من اليهود والنصارى وملة المسلمين أهل التوحيد، وإن كانت قد نسخت ملة أهل الكتاب بعد نزول هذا الدين الإسلامي الحنيف.

ثم إن هذه المجتمعات كلها بحكم مدنيتها وبحكم دوليتها تعيش بعضها مع بعض، إما على الحب والوداد، وعلى التماسك والوحدة، أو تعيش على البغض والعداوة، وعلى الصراع والتفرق والشتات، ما يمكننا أن نطلق على علاقة بعضها مع البعض الآخر علاقة "السلم" أو علاقة "الحرب"، حسب الاصطلاح الفقهي المعروف.

وإذا كان الأمر كذلك، فقد تبين لنا أن جزءا من المسلمين يتعايشون مع غير المسلمين في بلاد عديدة ودول شتى، ويتعاملون في حاجاتهم وضرورات حياتهم على هذا النمط. ولكن ما هو الأصل؟ وما هو المطلوب؟

فقبل أن نخوض في البحث عن الأصل والمطلوب في حكم تعايش المسلمين مع غيرهم يجدر بنا أن ندرس العلاقات، ونعرف: "ما هي علاقة الأمة المسلمة بالأمم الأخرى"؟

فلعل من الواجب أن نكشف عن "هوية" هذه الأمة المسلمة قبل أن نأخذ بالإجابة عن هذا السؤال، بل لعل الكشف عن هويتها يتضمن جوهرة الجواب وحقيقته، إذ لا يخفى ما بين هوية الكائن الاجتماعي والسياسي، كالأمة والدولة، وبين علاقاتها بالأمم والدول الأخرى من صلات وشيجة.

إن خير وسيلة للكشف عن "هوية" الأمة المسلمة الكريمة هي النظر إليها من خلال عاملين أساسيين صاغاها على نحو ما نعلم، وهما: "الكتاب والسنة". وهذان العاملان غنيان كل الغنى – ولله الحمد والمنة – بما يسهل علينا بلوغ هدفنا هذا.

قال الله – سبحانه وتعالى – في محكم تنزيله: بسم الله الرحمن الرحيم (والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

وقال – سبحانه – : (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين).

وقال – عز من قائل –: (كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب في غزاة خيبر، وقد عهد إليه بمهمة عسكرية: "..... فوالله! لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم". (رواه البخاري وغيره)

وكان صلى الله عليه وسلم يبعث أصحابه – على حبه إياهم وحرصه عليهم – ليدعوا إلى الله، ويبلغوا عنه، ويسهموا في إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وإن الآيات والأحاديث، ووقائع السيرة النبوية، والتاريخ الراشدي في ذلك كثيرة.

وفي ضوء ما تقدم يمكننا بكل يسر وسهولة أن نحدد "هوية" أمتنا المسلمة ونلخصها في كلمتين ونقول: "إنها أمة عقيدة ودعوة". لا تعتز باللون أو الجنس أو النسب أو الأرض، إنها تسمو في تفكيرها وسلوكها فوق جميع الاعتبارات التي لا تنطوي على قيم حقيقية. إن علاقتها

بالأمم الأخرى على اختلاف ألوانها ولغاتها وأديانها ليست – في حقيقتها – علاقة سلم ولا حرب، ولا دفاع ولا هجوم، وإنما هي "علاقة دعوة"، دعوة عالمية تتخطى في إيمان وسمو وعفوية كل الحدود والحواجز التي تنتهي إليها، أو تتهاوى عندها المبادئ الأخرى، سواء كانت هذه الحدود جغرافية أو سياسية أو عرقية أو لغوية .... أو نحوها، وهي بذلك تفتح أبواب رحمة السماء لأهل الأرض أجمعين.

وهناك قد يتساءل متسائل: إن علاقة الأمة المسلمة بغيرها من الأمم ليست علاقة سلم ولا حرب، فما هذه الغزوات والحروب والصلح والعهود التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم، وقام بها الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من أئمة المسلمين وأمرائهم؟

قلنا: إن هذه الحروب والغزوات والصلح والعهود التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده لم يكن لها من هدف سوى إزالة العقبات من طريق الدعوة كي يتاح تبليغها إلى الناس في جو خال من الضغط أو الفتنة، وفي غيبة الطواغيت الذين كانت مصالحهم الذاتية تستلزم الحؤول بين الدعوة الهادية الهادئة وبين الشعوب التي كانت ترزح تحت وطأة المظالم وكابوس الاستغلال من قبل تلك الطواغيت. فكان لابد من أجل مصلحة الدعوة إزالة تلك العقبات – ولو بشبا السيوف – حين لا يكون بد من ذلك، ولو بترك بعض المصالح الظاهرة العاجلة وتأخيرها إلى حين.

نعم ! إن الناظر في اتجاه واحد يرى أن العلاقة بين الأمة المسلمة وبين غيرها من الأمم هي "علاقة حرب ومحاربة".

كما أن الناظر في اتجاه آخر غير هذا الاتجاه يرى أنها "علاقة سلم ومسالمة".

وليس من جدل أن الجماعات والمجتمعات –على أية صورة كانت تنظيمها أو بناؤها – إذا ما تجاورت جوارا دائما دخلت في علاقات تستدعي إرساء قواعد قانونية لتنظيمها للتعايش والتعامل. وتلك القواعد هي التي ندعوها على نحو ما قواعد القانون الدولي العام في المصطلح السياسي الحديث.

هذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة، فقد عقد بين أهل يثرب من المسلمين واليهود والمشركين وغيرها من القبائل معاهدة رائدة للتعايش فيما بينهم، يمكن

أن توصف بأنها دستور لدولة المدينة التي ولدت بعد الهجرة، والتي أصبح الرسول صلى الله عليه وسلم رجلها الأول. ثم جاءت هذه المعاهدة فأكدت ذلك. وقد اعتبر العلامة الأديب الباحث محمد حميد الله – رحمه الله – تلك المعاهدة أول دستور مكتوب للتعايش بين الأمم في العالم. وكان من بعض بنود تلك المعاهدة الطويلة بعد البسملة:

"هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم. إنهم أمة واحدة من دون الناس. المهاجرون من قريش على ربعتهم، يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

ثم ذكر الأنصار قبيلة قبيلة بمثل هذه العبارة، ثم ذكر اليهود وما لهم وما عليهم، حتى قال: "وإن يهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين" وقال: "لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته" ... "وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم. وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم".

وهكذا قد استمرت علاقة الأمة المسلمة بالأمم الأخرى خلال العهدين النبوي والراشدي منهجا متكاملا يواجه أيما عقبة تبدو في طريق الدعوة، مواجهة مكافئة لمقتضيات الظروف وطبائع الأمور، من الحروب والأساليب السلمية: من وساطة ومعاهدات وتحكيم وغيرها تتناوب وتتعاون حسب مصلحة الدعوة.

فالخلاصة أن الأمة المسلمة هي في هويتها الأصيلة أمة "عقيدة ودعوة". وإن دعوتها إلى هذه العقيدة التي كرمها الله بها هي ملاك صلة تعايشها وتعاملها بالأمم والشعوب الأخرى. وأيضا فمعنى ذلك أن المسلمين قد اعترفوا منذ البداية بوجود الأمم والدول غير الإسلامية، وتعلموا طريقة التعايش معهم والتعامل وأرادوا تنفيذها على الوجه المطلوب.

نعم ! إن مما يؤسف حقا أن "هوية" هذه الأمة لم تبق دائما على ما كان لها من صفاء وقوة وسمو في العهدين النبوي والراشدي، بل داخلها – ولو على بعض المستويات – شيء من التبدل والابتعاد الذي ظهرت آثاره في علاقاتها بالأمم الأخرى.

فيا حبذا لو أن المسئولين في هذه الأمة كانوا قد استقاموا – عبر التاريخ – على سنن النبوة والخلافة الراشدة في تكييف علاقاتهم بالأمم الأخرى لدانت لهم العباد والبلاد، ولمكن الله لهم في الأرض، ولأحلوا أمتهم المسلمة المكان الذي خلقت لتحله. لكنهم انحرفوا عن هذه السنن، فالتوت عليهم الأمور، وجعلوا ينحدرون شيئا فشيئا إلى مستوى المسئولين العاديين في أنفسهم وفي علاقاتهم بالأمم الأخرى، حتى آل الأمر كما نرى أن الأمم تكالبت عليها كما كان قد أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها".

ومما يجدر بنا أن نقول في ختام هذا البحث:

- إنه يجب علينا – كأمة عقيدة ودعوة – الاهتمام بجانب الدعوة للتعايش مع الأمم غير المسلمة والتعامل بها بالحكمة والموعظة الحسنة.
- إن التعايش مع غير المسلمين مبني على الحق والعدل، لا على الجور والظلم، والسفه والعدوان.
- إن التعايش مع غير المسلمين بالحق والعدل لا يعني محبتهم ومودتهم، والانسياب في بوتقتهم.
- إن التعايش مع غير المسلمين ينبني على قاعدة " الولاء والبراء " المعروفة في الإسلام.
- إن التعايش مع غير المسلمين لا يعني التنازل عن شيء من العقيدة الإسلامية وأخلاقها بأي حال من الأحوال.
- وللتعايش مع أهل الكتاب وغيرهم من الملل والأمم دستور خالدي في كتاب الله وسنة رسوله يجب التمسك به.

وأدعو الله لي وللجميع التوفيق والنجاح في العلم والدعوة، وهو ولي التوفيق.

وصلى الله وسلم وبارك على حبيبنا ومولانا محمد وآله.

والحمد لله أولا وآخرا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

* * *

البلاغة القرآنية

اللطائف البلاغية

في قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾

اعداد: وسيم المحمدي / المدينة المنورة

في هذه الآية الكريمة لطائف بلاغية عديدة تدرك بالتأمل فيها، ومنها:

- الائتلاف: وهو أن يجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، وهذا ظاهر في الآية بحيث (اللطيف) يناسب (لا تدركه الأبصار)، و(الخبير) يناسب (وهو يدرك الأبصار).
- الاحتراس: وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، فهنا في الآية احتراس من توهم أنه إذا لم يكن مدركا لم يكن موجودا، وذلك بقوله: (وهو يدرك الأبصار)، فأثبت لذاته كمال الوجود وزيادة.
- الإدماج: وهو أن يتضمن الكلام معنيين: معنى مصرح به،ومعنى كالمشار إليه، كأنه أدمج بين معنيين، وذلك في الآية لما أدمج في التعطف _وسيأتي تعريفه_ من الاحتراس.
- إيجاز الحذف: وهو تأدية الأصل المراد بلفظ ناقص عنه واف يكون بحذف، وذلك – والله أعلم – في قوله تعالى: (وهو يدرك الأبصار)، أي: ذوي الأبصار.
- إيجاز القصر: وهو تأدية الأصل المراد بلفظ ناقص عنه واف يكون بدون حذف، وذلك في الآية في غاية الوضوح؛ إذ إن الآية مع قصرها تضمنت أكثر من عشرة أوجه بلاغية.
- الإيغال: وهو أن يختتم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، وذلك هنا في الآية بالمعنى الزائد في الفاصلة؛ لدلالة اللفظ القليل على المعاني الكثيرة، كما ترى في اختيار اللفظ (الخبير).
- التخيير: وذلك من حيث إنه أوثر لفظ (الخبير) على لفظ (البصير)؛ وذلك لما فيه من الزيادة على الإبصار والإدراك؛ إذ ليس كل من أبصر شيئا أو أدركه خبيرا به، فتضمنت الفاصلة بذلك معنى زائدا على معنى الكلام وصفت لأجله بالإيغال.
- الترشيح: وهو أن يؤتى بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة تؤهلها لذلك، وذلك هنا في الآية من الترشيح بالائتلاف إلى الإيغال.

- **تشابه الأطراف: وهذا ضرب من الائتلاف، وهو: أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى؛ لكونه ما ختم به كالعلة لما بدئ به، أو العكس، أو كالدليل عليه، أو نحو ذلك.**
  فـ(اللطيف) في الآية يناسب (لا تدركه الأبصار)؛ إذ المتبادر من معنى اللطف دقة الشيء بحيث لا يظهر، و(الخبير) يناسب (وهو يدرك الأبصار)؛ لأن الخبير من له علم بالخفيات، فيدرك الشيء الخفي.
- **التعطف: وهو الترديد في إعادة اللفظ بعينها في الكلام، بحيث إنه لابد أن تكون إحدى الكلمتين في أول الكلام والأخرى في آخرها، كما هنا كلمة (الأبصار)، جاء في أول الكلام وآخره.**
- **المطابقة السلبية: وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد: أحدهما مثبت والآخر منفي، أو الجمع بين فعلين أحدهما أمر والآخر نهي، والآية من النوع الأول.**
- **المقارنة: وهي واضحة في الآية، حيث حصلت بقوله تعالى: (لا تدركه الأبصار)، ثم بتعقيبه بقوله تعالى: (وهو يدرك الأبصار).**
- **استخدام الجملة الفعلية: والجملة الفعلية هنا تفيد الاستمرار.**
- **استخدام ضمير الفصل وتقديمه على الفعل (يدرك)، والذي يدل على التخصيص والقصر.**
- **استخدام ضمير الفصل وتقديمه على (اللطيف الخبير)، والذي يدل على التخصيص والقصر.**
- **استخدام كلمة الإدراك، والتي تدل على الإحاطة التامة بالمدرك.**

فلننظر إلى هذه الكلمات الوجيزة من القرآن! كيف اشتملت على عديد من الألوان البلاغية، ولو تأمل متأمل لوجد أكثر من ذلك، فسبحان من نزل القرآن وجعلها ذكرا للمؤمنين.

هذا، والله تعالى أعلم، وعلمه أتم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

آداب إسلامية

آداب الصلاة

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

24 – كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال، لما فيه من اشتغال القلب به وذهاب كمال الخشوع، وكراهتها مع مدافعة الأخبثين وهما البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب الكمال.

عن ابن أبي عتيق قال: تحدثت أنا والقاسم عند عائشة حديثا وكان القاسم رجلا لحانة وكان لأم ولد فقالت له عائشة: ما لك لا تحدث كما يحدث ابن أخي هذا، أما إني قد علمت من أين أتيت هذا، أدبته أمه وأنت أدبتك أمك، قال فغضب القاسم وأضبّ عليها، فلما رأى مائدة عائشة قد أتي بها قام، قالت: أين؟ قال: أصلي، قالت: اجلس، قال: إني أصلي، قالت: اجلس غُدرُ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان. [1]

25 – يجوز الفعل اليسير في الصلاة للحاجة، عن أبي حازم عن أبيه أن نفرا جاؤوا إلى سهل بن سعد قد تماروا في المنبر من أي عود هو ؟ فقال: أما والله إني لأعرف من أي عود هو ومن عمله، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس عليه، قال: فقلت له يا أبا عباس فحدثنا، قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة، قال أبو حازم إنه ليسمّيها يومئذ، انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادا أكلم الناس عليها، فعمل هذه الثلاث درجات، ثم أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوضعت هذا الموضع، فهي من طرفاء الغابة، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر، ثم رجع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إني إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي. [2]

قال النووي: ففيه فوائد منها: استحباب اتخاذ المنبر، واستحباب كون الخطيب ونحوه على مرتفع كمنبر أو غيره، وجواز الفعل اليسير في الصلاة، فإن الخطوتين لا تبطل

---

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الخ.
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة الخ.

بهما الصلاة، ولكن الأولى تركه إلا لحاجة، فإن كان لحاجة فلا كراهة فيه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيه أن الفعل الكثير كالخطوات وغيرها إذا تفرق لا تبطل، لأن النزول عن المنبر والصعود تكرر، وجملته كثيرة ولكن أفراده المتفرقة كل واحد منها قليل.

وفيه جواز صلاة الإمام على موضع أعلى من موضع المأمومين ولكنه يكره ارتفاع الإمام على المأموم وارتفاع المأموم على الإمام لغير حاجة، فإن كان لحاجة بأن أراد تعليمهم أفعال الصلاة لم يكره، بل يستحب لهذا الحديث، وكذا إن أراد المأموم إعلام المأمومين بصلاة الإمام واحتاج إلى الارتفاع.

وفيه تعليم الإمام المأمومين أفعال الصلاة، وأنه لا يقدح ذلك في صلاته وليس ذلك من باب التشريك في العبادة بل هو كرفع صوته بالتكبير ليسمعهم. [1]

26 – لا بأس بحمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان الطاهر في صلاة الفرض وصلاة النفل. فقد ثبت ذلك عن فعل النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي قتادة الأنصاري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يؤم الناس وأمامة بنت أبي العاص وهي بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها. [2]

قال النووي : ففيه دليل لصحة صلاة من حمل آدميا أو حيوانا طاهرا من طير وشاة وغيرهما، وإن ثياب الصبيان وأجسادهم طاهرة حتى يتحقق نجاستها، وان الفعل القليل لا يبطل الصلاة، وإن الأفعال إذا تعددت ولم تتوال بل تفرقت لا تبطل الصلاة. [3]

27 – تكره الصلاة في ثوب له أعلام. فعن عائشة قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في خميصة ذات أعلام، فنظر إلى علمها فلما قضى صلاته قال: اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم بن حذيفة وأتوني بأنجابية، فإنها ألهتني آنفا في صلاة. [4]

28 – ليس من أدب الإسلام أن يدخل الرجل المسجد بعد أكل البصل والثوم والكراث والفجل ونحو ذلك مما له رائحة كريهة من المأكولات.

وكذلك لا يحضر مصلى العيد والجنائز، ومجامع العبادات، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها.

---

[1] شرح صحيح مسلم ص 206 .
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة ، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة الخ .
[3] شرح صحيح مسلم ص 205 .
[4] رواه مسلم في كتاب الصلاة،باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام.

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أكل من هذه البقلة فلا يقربن مسجدنا حتى يذهب ريحها يعني الثوم. [1]

قال ابن المرابط: ويلحق به من به بخر في فيه، أو به جرج له رائحة. [2]

29 – نشد الضالة في المسجد ليس بمشروع، وكذا البيع والشراء والإجارة ونحوها من العقود. فعن أبي عبد الله مولى شداد بن الهاد أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا". [3]

قال النووي: في هذين الحديثين فوائد. منها النهي عن نشد الضالة في المسجد، ويلحق به ما في معناه من البيع والشراء والإجارة ونحوها من العقود، وكراهة رفع الصوت في المسجد. قال القاضي: قال مالك وجماعة من العلماء: يكره رفع الصوت في المسجد بالعلم وغيره، وأجاز أبوحنيفة رحمه الله تعالى ومحمد بن مسلمة من أصحاب مالك رحمه الله تعالى رفع الصوت فيه بالعلم والخصومة وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس، لأنه مجمعهم ولابد لهم منه. [4]

30 – متى شك المصلي في صلاته هل صلى ثلاثا أم أربعا مثلا، لزمه البناء على اليقين فيجب أن يأتي برابعة ويسجد للسهو، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثا أو أربعا فليطرح الشك وليبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمسا شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتماما لأربع كانتا ترغيما للشيطان. [5]

روى الإمام مسلم في السهو في الصلاة خمسة أحاديث على خمسة أنحاء، وهي كما يلي:

1 – عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس. [6]

---

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا الخ.
[2] شرح صحيح مسلم للنووي 1 / 209 .
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد الخ .
[4] شرح صحيح مسلم 1 / 210 .
[5] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له.
[6] صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة الخ.

2 – عن عبد الله بن بحينة قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات، ثم قام فلم يجلس، فقام الناس معه، فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر فسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم ثم سلم. [1]

3 – عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثا أو أربعا فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمسا شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتماما لأربع كانتا ترغيما للشيطان. [2]

4 – عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين، فقام ذو اليدين فقال: أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن، فقال: قد كان بعض ذلك يا رسول الله، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: أصدق ذو اليدين؟ فقالوا: نعم يا رسول الله ! فأتمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي من الصلاة، ثم سجد سجدتين وهو جالس بعد التسليم. [3]

5 – عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد سجدتي السهو بعد السلام والكلام. [4]

قال النووي: واختلف العلماء في كيفية الأخذ بهذه الأحاديث فقال داود: لا يقاس عليها بل تستعمل في مواضعها على ما جاءت، وقال أحمد رحمه الله تعالى كقول داود في هذه الصلوات خاصة، وخالفه في غيرها وقال: يسجد فيما سواها قبل السلام لكل سهو، وأما الذين قالوا بالقياس فاختلفوا، فقال بعضهم هو مخير في سهو إن شاء سجد بعد السلام وإن شاء قبله في الزيادة والنقص، وقال أبوحنيفة رضي الله عنه: الأصل هو السجود بعد السلام، وتأول باقي الأحاديث عليه، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: الأصل هو السجود قبل السلام، ورد بقية الأحاديث إليه، وقال مالك رحمه الله تعالى: إن كان السهوة زيادة سجد بعد السلام، وإن كان نقصا فقبله، فأما الشافعي رحمه الله تعالى فيقول: قال في حديث أبي سعيد فإن كانت خامسة شعفها ونص على السجود قبل السلام. **(يتبع)**

***

[1] صحيح مسلم.
[2] صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة الخ .
[3] صحيح مسلم.
[4] صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة.

تفنيد المزاعم

ردا على من يهونون من شأن صلاة الجماعة

اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية: الصلاة في المساجد من أكبر شعائر الدين وعلاماتـــه، وفي تركها بالكليـــة أو في المساجد محو لآثارها

صدر عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ وعضوية عبد الله بن محمد المطلق وصالح بن فوزان الفوزان ومحمد بن حسن آل الشيخ وعبد الله بن محمد بن خنين، بيان حول أهمية صلاة الجماعة وخطورة التهوين من شأنها، ردا على ما ينتشر في هذه الأيام من مقالات لبعض الكتاب يهونون فيها من أهمية صلاة الجماعة في المسجد نظرا لأن بعض العلماء قال إنها سنة.

وجاء في البيان: إن إقامة الصلاة في الجماعة في المساجد من سنن الهدى ومن شعائر الإسلام الظاهرة، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مبينا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، قال: من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن فإنهن من سنن الهدى وإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى. وإنكم لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط بها عنه سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف". رواه مسلم في صحيحه.

فقد بين رضي الله عنه أن صلاة الجماعة في المساجد من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الواجبة الاتباع، وأن الصحابة رضي الله عنهم عملوا بها، فحافظوا على صلاة الجماعة في المساجد وأنكروا على من تخلف عنها، وأن من عادة المنافقين في زمانهم التخلف عن صلاة الجماعة في المساجد، فليحذر المسلم من أن يشابه أولئك القوم في تخلفه عن الصلاة في المسجد مع جماعة المسلمين، وهذا كله مأخوذ من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله في صلاة الجماعة. من ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: هل تسمع النداء بالصلاة. قال نعم. قال فأجب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر) قال الحافظ ابن حجر في "البلوغ": رواه ابن ماجه والدار قطني وابن حبان والحاكم وإسناده على شرط مسلم لكن: رجح بعضهم وقفه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها. ثم آمر رجلا فيؤم الناس. ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم) الحديث متفق عليه واللفظ للبخاري.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا). متفق عليه.

فهذه الأحاديث تدل على وجوب الذهاب إلى المسجد بعد الأذان لأداء الصلاة في الجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لا ينبغي له أن يترك حضور المسجد إلا لعذر كما دلت على ذلك السنن والآثار، والصلاة في المساجد من أكبر شعائر الدين وعلاماته، وفي تركها بالكلية أو في المسجد محو لآثار الصلاة بحيث أنه يفضي إلى تركها ولو كان الواجب فعل الجماعة لما جاز الجمع للمطر ونحوه وترك الشرط وهو الوقت لأجل السنة ومن تأمل الشرع المطهر علم أن إتيان المسجد لها فرض عين إلا لعذر.

وفي هذه الأيام تنشر بعض الصحف مقالات لبعض الكتاب يهونون فيها من أهمية صلاة الجماعة في المسجد نظرا لأن بعض العلماء قال إنها سنة، ولهذا يستنكرون أمر الناس بها، ويستنكرون إغلاق المحلات التجارية وقت الصلاة، ولا شك أن الواجب هو اتباع الدليل من الكتاب والسنة فيما دل عليه من وجوب صلاة الجماعة في المسجد، فهما حجة على من خالف في ذلك وفي غيره. وترى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن التهوين من أمر هذه الشعيرة في قلوب المسلمين مخالف لنصوص الكتاب والسنة، ويخشى على من قال ذلك أن يكون داخلا في عموم قول الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) [الأحزاب: 36]. وقوله تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور: 63].

***

ركن الطلاب

كفالة الأيتام في ضوء تعاليم الإسلام

عبيد الله الباقي عبد السلام
السنة الثانية للفضيلة، الجامعة السلفية، بنارس

إن نازلة من النوازل تنزل على كل نفس، وذائقة مرارة يذوقها كل حيوان، سواء كان ناطقا أم غير ناطق، بل هي مصيبة تزلزل الأقدام، وترنح الأشجان، وتعكر الأذهان، وتنفجر العيون منها عبرة، وتشد الصدور بها زفرة، فلا قِبلَ للمصابين المنكوبين إلا أن يقولوا: "إنا لله وإنا إليه راجعون". [1] وما هي إلا الموت.

فيا من مات عنه أبوه، لا تحزن على ما فاتك، واعلم أن الله تعالى حي لا يموت، فإياه استعن، هو نعم المولى ونعم النصير — ويا من يفقد والده، لا تحسر على ما تفقده، واعلم أن القدوة الحسنة موجودة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" [2] وتسلّ بقول الله عز وجل: "كل نفس ذائقة الموت" [3]، فهنيئا للذين لا يأخذ منهم اليأس مأخذا، ولا يتركون للقنوت سبيلا، بل يحتملون ما يصيبهم من النكبة والكربة، ويصبرون كما صبر أولو العزم.

وويل للذين يفزعون من هذه المصيبة المؤجلة، ويجزعون من هذه البلية المقدرة، وينيحون على أقدارهم، ويسبون خالقهم، ولا يلقون نظرا إلى الدين الخالد الذي ينهى عن هذا العمل الشنيع.

فلا غرو أن النياحة حوب كبير، وذنب عظيم، وجرم جسيم، ومن أعمال الكافرين الجاهلين الضالين، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: "ليس ما من شق الجيوب، وضرب الخدود، ودعا بدعوة الجاهلية". [4]

ومما أحسن الإسلام بالنسبة إلى الأيتام أنه تكفل برعايتهم، وتضمن بتربيتهم وإصلاحهم، فلا نظير لهذه الأنظمة الهامة ولا مثيل في غيره من الأديان المختلفة والمذاهب الموضوعة.

ولا جرم أن الإسلام ما ترك من سبيل إلا وبينه بيانا مفصلا، لأنه هو دين كامل أبدي (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [5] وإن تعليمه واضح

---

[1] البقرة: 156.
[2] الأحزاب: 21 .
[3] آل عمران: 185 .
[4] البخاري: 1294، ومسلم: 13 .
[5] المائدة: 3 .

بين لا مجال فيه للعقل والرأي، ومن تعاليمه العالية ومعالمه السامية كفالة الأيتام، فالإسلام قد اهتم بها وأكد عليها، والأدلة الكثيرة تنص على هذه المسؤولية الكريمة، ومنها: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى). [1]

فوالله ! إن الذين يخفضون لليتامى جناح الرحمة والحنان، والشفقة والإحسان، وينفقون عليهم الأموال ليصلحوا أمورهم، وليقوا أود حياتهم، فلا يعملون إلا عمل البر، لأن كفالة اليتيم بر عظيم يسبب الألفة والمحبة، ويولد المودة والأخوة في المجتمع البشري.

بل هو يهدي إلى الجنة، فقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم كافلي الأيتام بجنات النعيم فقال: "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة". [2]

ومنها: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله، وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة). [3]

ومنها: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم). [4]

إن الله تعالى وضح في هاتين الآيتين معنى الاحسان كامل الإيضاح ولكن من المؤسف ! لا يقوم بهذا الفعل المدوح،ولا يهتم بهذا العمل الصالح، ولا يُلقي لهذه المسؤولية المباركة بالا إلا قليل معدود منا ! !

ومنها: (ويسئلونك عن اليتامى، قل إصلاح لهم خير، وإن تخالطوهم فإخوانكم، والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم، إن الله عزيز حكيم). [5]

فوجه الله تعالى في هذه الآية الكريمة وجوه المسلمين إلى شئون اليتامى، أن لا يقصدوا بها إلا الإصلاح، ولا يخالطوهم إلا مخالطة الأخوة. ويعلمهم الله تعالى أن يصلحوا نفوس اليتامى بالتربية والتهذيب، وأموالهم بالتنمية والتثمير، ولا يهملوا شؤونهم فتفسد أخلاقهم وتضيع حقوقهم.

---

[1] البقرة: 177 .
[2] البخاري: (5304) .
[3] البقرة: 83 .
[4] النساء: 36 .
[5] البقرة: 220 .

ولكن يا أسفاه ! مع كل هذا لا نرى من كثير من الأوصياء على اليتامى إلا الفساد والإفساد، دون مراقبة لله في أعمالهم، ومراجعة نفوسهم في أفعالهم، غير ناظرين إلى الوعيد الشديد الذي تقشعر من هوله الصم الجلاميد !! [1]

ومنها: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا، وسيصلون سعيرا). [2]

وقد هدد الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة الذين يأكلون أموال اليتامى بغير حق، وأنهم لا يملؤون أجوافهم إلا نارا.

ويعتد هذا العمل الشنيع من الكبائر، ولن يغفر الله أهل الكبائر إلا أن يستغفروه ويتوبوا إليه، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: "اجتنبوا السبع الموبقات" قيل يا رسول الله! وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات". [3]

ومنها: (كلا بل لا تكرمون اليتيم). [4]

ومنها: (فأما اليتيم فلا تقهر). [5]

ومنها: (أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم). [6]

فالذين لا يكرمون اليتامى، ولا يابهون بشئونهم، بل يدعّونهم ويدفعونهم، ويحتقرونهم، إنهم لمفسدون في الأرض ومكذبون بدين الله الخالد، لا دين بعده ولا إيمان، وقال الله تعالى فيهم: (كلا بل لا تكرمون اليتيم) وما وعد الله إلا إياهم، وهم في هذه الأعمال الدنيئة مستغرقون، وقال تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر) أي لا تقهر اليتيم، ولا تستذله، بل ارفع نفسه بالأدب، وهذبه بمكارم الأخلاق، ليكون عضوا نافعا في جماعتك، لا جرثومة فساد يتعدى أذاها إلى كل من يخالطها من أمتك. [7]

ومنها: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا). [8]

---

[1] تفسير المراغي: 1 / 212 .
[2] النساء: 212 .
[3] البخاري: 2766 و 5767 ، ومسلم: 89 .
[4] الفجر: 17 .
[5] الضحى: 9 .
[6] الماعون: 1 – 2 .
[7] تفسير المراغي: 10 / 447 .
[8] الإنسان: 8 .

وقد أشار الله تعالى هنا إلى أن الإحسان إلى اليتامى وإطعامهم، وإلباسهم وما إلى ذلك، هو من أوصاف المؤمنين الفائزين الذين هم يفوزون يوم القيامة بنعم عديدة، ويجزون جزاء حسنا، بل (أولئك أصحاب الجنة). [1]

ولكن بإلقاء نظرة عابرة إلى مجتمعنا الإسلامي نجد أن كثيرا من اليتامى لا يجدون معزيا يعزيهم على هذه الآفة الأليمة، ولا يرون مسليا ممن حولهم يسليهم من هذه المصيبة الفجيعة.

فهؤلاء اليتامى البائسون ! ولدوامن الآباء الأثريا الناعمين، وكانوا يشبون في حجور النعيم، ويدرجون في مهاد السراوة، ولكن الآن قد أرصدت أبواب النعم، وتناثرت حبال الثروة ! !

فليس لهم عضد ولا سند، يتقوون به أصلابهم حتى لا تنضب مياه وجوههم، ولا يجدون سبيلا إلى ما يقتاتون به حتى تنطفي غلتهم.

وهؤلاء اليتامى المنكوبون ! "لا يجدون من تبعثه العاطفة على تربيتهم، والقيام بشؤونهم، وهديهم إلى الرشد، وإنهم في حاجة ماسة إلى معونة ذوي الرحمة والرأفة من المسلمين كيلا تسوء حالهم وتفسد أخلاقهم".

فقولوا لي- بالله — أيها الأثرياء الناعمون ! فكيف؟ والله تبارك وتعالى ليسئلنكم عما اكتسبتم من الأموال، وادخرتم من الثروة.

وقولوا لي — بالله — أيها الأغنياء القادرون! إن لم تتحملوا هذه المسئولية وهذه الأعباء على كواهلكم القوية، فمن يسمع بأذنيه أنّات هؤلاء المتألمين، وزفرات أولئك المتوجعين، ومن يشارك في همومهم وآلامهم، ومن تنمو في نفسه عاطفة الرفق والرحمة، فيعطف عليهم عطف الأخ على الأخ، ويرحمهم رحمة الحميم للحميم ! !

واعلموا — رحمكم الله — إن لم ترحموهم رحمة، وتحسنوا إليهم إحسانا، فإن الله لم يخلقهم في هذا العالم، ولم يبرزهم إلى هذا الوجود ليموتوا جوعا، ويهلكوا ظمأ، والله هو الرزاق ذو القوة المتين !

إخواني في الدين ! لا تشتغلوا بالأموال لأنها فتنة لكم، ولا تغتروا بالمشتهيات لأنها عدو لكم، واتقوا الله تعالى وقدموا أعمالكم، لأنكم مستعرضون على ربكم. فأدعو الله لي ولكم "اللهم افتح صدورنا للرحمة الواسعة على اليتامى المساكين ووسع قلوبنا للرأفة المتدفقة لليتامى البائسين، آمين، تقبل يا رب العالمين.

***

[1] البلد: 18 .